
بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد :

فإن اعتقاد أهل السنة والجماعة، هو الدين الحق الذي يجب على كل مسلم أن يعتقده؛ إذ هو اعتقاد رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وصحابته الكرام -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ-، فمن خالفهم في ذلك فقد عرّض نفسه لعقاب الله الشديد ومقته وغضبه.

من أجل ذلك نضع هذا الكتاب بين أيدي أبنائنا جيل المستقبل؛ ليكون عوناً لهم على معرفة عقيدة الإسلام الصافية النقية من كل شرك وبدعة، بحيث يكون مرجعاً لهم في معرفة عقيدة أهل السنة والجماعة في « أصول الدين».

وقد توخينا فيه الإيجاز في العبارة، واليسر في الأسلوب؛ ليناسب المرحلة العمرية لأبنائنا المنتسبين بالمعاهد التخصصية «بالهيئة العامة للأوقاف والشؤون الإسلامية».

وقد اشتمل الفصل الأول من الكتاب على عقيدة أهل السنة والجماعة في توحيد الربوبية، والألوهية ،والأسماء والصفات، وأركان الإيمان الستة، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وما يندرج تحتها من مسائلَ عقدية مهمة، ينتفع بها الطالب في دنياه وآخرته.

ثم جاء الفصل الثاني مسلطاً الضوء على مواضيع تتعلق بأول أركان الإسلام حيث تكلمنا عن توحيد الألوهية وهو إفراد الله بالعبادة وأن الحكمة من خلق الجن

والإنس هي تحقيق هذا الأمر وتكلمنا عن فضل التوحيد وثوابه وعن خطر ما يضاده من الشرك.

وبعد ذلك شرعنا في ذكر أبواب تفصيلية عن بعض الأعمال والأقوال التي تخالف التوحيد وتناقضه، كلبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه وكالتبرك بالأشجار والأحجار ونحوهما وكذلك التمائم والرقى وكذلك السحر والشعوذة والكهانة والعرافة وغير ذلك، وقد ذكر كله مفصلاً بمسائله ومناقشاته؛ حتى يكون طلابنا على علم ودراية بالعقيدة والصحيحة وبما يخالفها من العقائد الباطلة.

وقد حرصنا على ذكر الأدلة في كل مسائل الكتاب؛ لربط طلابنا بالدليل الصحيح، وليعلموا ان المعتقد الصحيح مصدره الكتاب والسنة بفهم السلف الكرام، ليس الأوهام والخرافات ولا المنامات والقصص المختلقات.

والله من وراء القصد



المعتقد الصحيح
في توحيد الربوبية

المعتقد الصحيح
في توحيد الربوبية

يعتقد أهل السنة والجماعة أن الله تعالى وحده متفرد بالخلق والملك والتدبير

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف].

وقال الله تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الشورى].

وقال تعالى:﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾ [الحديد].

المشركون الأوائل لم ينازعوا في توحيد الربوبية:

وهذا التوحيد هو المسمى بـ (توحيد الربوبية)، وهو المستقر في نفوس البشر ، لا ينازع فيه أحد من الناس ، مسلماً كان أو كافراً ، كما قال تعالى عن الكفار : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [لقمان].

وقال تعالى عنهم –أيضاً– : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يوسف].

قال مجاهد –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– : إيمانهم : قولهم : الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا . فهذا إيمان ، مع شرك عبادتهم غيره.

اعتقاد المشركين أن آلهتهم يتوسل بها إلى الله، لا أنها تخلق وترزق:

فلم يكن المشركون يعتقدون أن آلهتهم مشاركة لله في الخلق، بل كانوا يعتقدون أن ذلك لله وحده، وأن آلهتهم يتوسل بها إلى الله، وتتخذ شفعاء عند الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر: 3].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّـٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [فاطر].

وقال تعالى عن مشركي قريش: ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الصافات].

وقال الله تعالى عنهم: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾[ص].

من فوائد تقرير الله تعالى لتوحيد الربوبية:

أولاً: قرره الله تعالى لإثباته وتأكيده.

ثانياً: للاستدلال به على وجوب التوحيد في الألوهية؛ إذ أن توحيد الربوبية يستلزم أن لا يعبد إلا الله، ومعنى ذلك أنَّ من أقرَّ بتوحيد الربوبية لله، فاعترف بأنه لا خالق ولا رازق ولا مدبِّر للكون إلا الله -عَزَّوَجَلَّ- لزمه أن يُقرَّ بأنه لا يستحق العبادة بجميع أنواعها إلا الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ-، وهذا هو توحيد الألوهية، فإنَّ الألوهية هي العبادة، فالإله معناه: المعبود، فلا يُدعى إلا الله، ولا يُستغاثُ إلا به، ولا يُتوَكَّلُ إلا عليه، ولا تذبح القرابين وتُنذر النذورُ ولا تُصرفُ جميعُ أنواع العبادة إلا له، فتوحيدُ الربوبية دليلٌ لوجوب توحيد الألوهية؛ ولهذا كثيرًا ما يحتجُّ الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ-على المنكرين لتوحيد الألوهية بما أقروا به من توحيد الربوبية، مثل قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾

ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة].

فأمرهم بتوحيد الألوهية، وهو عبادتهُ، واحتجَّ عليهم بتوحيد الرُّبوبية الذي هو خلقُ الناس الأولين والآخرين، وخلقُ السماءِ والأرضِ وما فيهما، وتسخير الرياح وإنزالُ المطر، وإنباتُ النبات، وإخراج الثمرات التي هي رزق العباد، فلا يليق بهم أن يُشركوا معه غيره؛ ممَّنْ يعلمون أنه لم يفعل شيئًا من ذلك، ولا من غيره، فالطريق الفطري لإثبات توحيد الألوهية: الاستدلال عليه بتوحيد الربوبية؛ فإن الإنسان يتعلق أولًا بمصدر خلقه، ومنشأ نفعه وضره، ثم ينتقل بعد ذلك إلى الوسائل التي تقرّبه إليه، وترضيه عنه، وتوثق الصلة بينه وبينه، فتوحيد الربوبية بابٌ لتوحيد الألوهية؛ من أجل ذلك احتجَّ الله على المشركين بهذه الطريقة، وأمر رسوله أن يحتجَّ بها عليهم؛ فقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النمل].

ففي هذه الآيات كلها ينكر تعالى على المشركين – الذين يقرون بأنه تعالى وحده هو خالق السموات والأرض وأنه وحده النافع الضار – بأن هذا الإقرار لم ينفعهم ، إذ جعلوا مع الله إلها

آخر، يدعونه كما يدعون الله، وهذا عين التناقض المخالف للشرع والعقل ، إذ من تفرد بجميع هذه التصرفات من الخلق والرزق والإحياء والإماتة ، فحُق أن يفرد بجميع أنواع الطاعات؛ ولهذا أنكر تعالى عليهم بقوله : ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ ولم يقل تعالى : أخالق مع الله؟ ؛ لأنهم لا ينازعون في هذا .

بطلان الشرك في الربوبية عقلاً ونقلاً:

وبين الله تعالى بطلان الشرك في الربوبية ، وأنه لو كان ذلك لفسدت السموات والأرض، وهذا مدرك – أيضا – ببداهة العقول ، قال تعالى : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المؤمنون].

۞۞۞۞۞۞

أسئلة تقويمية

1- ما هو توحيد الربوبية ؟

2-المشركون الأوائل لم ينازعوا في توحيد الربوبية -ناقش ذلك مع ذكر الدليل من كتاب الله.

3-المشركون يعتقدون أن آلهتهم يُتوسل بها إلى الله، لا أنها تخلق وترزق ، ما الدليل على ذلك ؟

4-ما الفائدة من تقرير الله تعالى لتوحيد الربوبية؟



المعتقد الصحيح في توحيد الأسماء والصفات

ومن جملة اعتقاد أهل السنة والجماعة :

أنهم يثبتون لله تعالى ما أثبته لنفسه ، وما أثبته له رسوله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من الأسماء الحسنى والصفات العلى ، لا يتجاوزون القرآن ، والحديث الثابت عن رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

يثبتون ألفاظ ذلك ، ويعلمون معناها في لسان العرب الذي نزل به القرآن ، ويُفوضون الكيفية لله تعالى؛ لأن الله تعالى قد اختص بها فلم يُطلع عليها أحداً من البشر .

فهم ينطلقون في هذا الباب الخطير من أسسٍ شرعيةٍ ثابتةٍ ؛من لزمها سلم من الانحراف:

وصف الله تعالى بالصفات الواردة في القرآن والحديث:

أول ذلك : إثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- دون زيادة أو نقصان؛ لأنه لا أحدَ أعلم بالله تعالى من نفسه ، كما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ [البقرة].

ولا أحدَ أعلمُ بالله بعد الله من رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم].

الثاني: تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقات في صفاته، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى].وقال تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص].

الثالث: عدم محاولة إدراك كيفية صفاته.

قال تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ١١٠ ﴾ [طه].

وقال : ﴿ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥ ﴾ [مريم].

ذكر صفة الاستواء على العرش:

فمن صفاته تعالى ما نص الله تعالى عليه بقوله:

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥ ﴾ [طه].

في مواضع من القرآن ، فيستفاد منها : إثباتُ استواءِ اللهِ على العرش استواء حقيقيًّا، نعرف معناه ، ونجهل كيفيته.

معنى الاستواء على العرش:

فمعناه :العلو والارتفاع، بذا جاء لسان العرب، واتفق على هذا المعنى أهل السنة والجماعة ، فقالوا: الاستواءُ غيرُ مجهول، والكيفُ غيرُ معقولٍ، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنه بدعةٌ، ومن اللهِ الرسالةُ، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق والتسليم.

عدم معرفة كيفية الاستواء :

أما كيفية هذا الاستواء لا يعلمه إلا الله وحده لا شريك له .

ذكر صفة السمع والبصر :

ومن ذلك – أيضا- قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨ ﴾ [النساء].

فيستفاد من الآية ونحوها : إثبات صفة السمع لله .

والسمع في لغة العرب : إدراك الأصوات .

معنى صفة السمع :

فنُثبِتُ لله تعالى سمعاً يدركُ به الأصوات لا يشبه شيئاً من خلق الله ، ونُفوِّضُ كيفية ذلك لله تعالى ، فلا نقول : كيف يسمع ؟ ولا نخوض في ذلك؛ إذ لم يطلعنا -جَلَّجَلَالُهُ- وتعالى عليه ؛ بل استأثر جل وعلا بعلمه.

معنى صفة البصر :

وهكذا البصر: إدراكُ المرئيات، كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري – – رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي –صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ– قال :

" إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَـهُ أَنْ يَنَـامَ، يَخْفِـضُ الْقِسْـطَ وَيَرْفَعُـهُ، يُرْفَـعُ إِلَيْـهِ عَمَـلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَـلِ النَّهَـارِ، وَعَمَـلُ النَّهَـارِ قَبْلَ عَمَـلِ اللَّيْـلِ، حِجَابُـهُ النُّـورُ ، لَـوْ كَشَـفَهُ لَأَحْرَقَـتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ " (1)

فنثبت لله بصراً حقيقيًّا يدرك –جَلَّجَلَالُهُ– به المبصرات، إلا أن كيفية هذا البصر لا نعلمه، وإنما نعلم ما علَّمنا الله بقوله: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾ [الشورى]،

فهذه أمثلة من طريقة أهل السنة والجماعة في أسماء الله تعالى وصفاته.

إذن: فمعنى توحيد الأسماء والصفات: الإيمان بما وصفَ اللهُ تعالى به نَفسَهُ في كتابِهِ، ووَصفَهُ بِهِ رسُولُهُ –صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ– من الأسماء الحسنى، والصفاتِ العلى، وإمرارُها كما جاءت بلا كيفٍ.

❁❁❁❁❁❁

[1] صحيح مسلم 1/ 161.

أسئلة تقويمية

1 - ما توحيد الأسماء والصفات عند أهل السنة والجماعة؟

2 - ما الأسس التي ينطلق منها أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات؟

3 - أهل السنة والجماعة يثبتون ويعلمون معاني الأسماء والصفات ويفوضون الكيفية - ناقش ذلك ؟



المعتقد الصحيح في توحيد الإلهية

ومن جملة اعتقاد أهل السنة : إفرادهم الله تعالى بالعبودية فلا يعبدون مع الله إلهاً آخر ، بل يصرفون جميع الطاعات التي أمر الله بها أمر إيجاب أو استحباب لله وحده لا شريك له ؛ فلا يسجدون إلا لله ، ولا يطوفون إلا لله بالبيت العتيق ، ولا ينحرون إلا لله ، ولا ينذرون إلا لله ، ولا يحلفون إلا بالله ، ولا يتوكلون إلا على الله ، ولا يدعون إلا الله ؛ وهذا هو توحيد الألوهية .

قال تعالى﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: 36].

وقال: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: 23].

وقال: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة].

ومعنى(يَعْبُدُونِ) : يُوحِّدون ، ضد التوحيد الشرك بالله .

وضد ذلك : الشرك بالله – أعاذنا الله منه– ، وهو أعظم ذنب عصي الله به ، قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء].

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾ [النساء].

وقال تعالى : ﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [االحج].

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان].

وبَيَّنَ تعالى أن الشرك مُحبطٌ للعمل، مخرج من ملة الإسلام ، فقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الزمر65].

وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- : أن رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: « مَنْ لَقِيَ اللهَ لا يُشركُ بِهِ شيئًا دَخَلَ الجنّةَ ، وَمَنْ لَقيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شيْئًا دَخلَ النَّارَ»[1] .

وفى صحيح البخاري عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال : « مَنْ ماتَ وهو يَدْعُو مِنْ دُونِ الله نِدًّا دَخلَ النار»[2].

من هو المشرك؟

فمن صرف نوعاً من أنواع العبادة لغير الله فهو مشرك كافر.

الدعاء لا يصرف إلاّ لله:

---

[1] صحيح مسلم 1/ 94

[2] صحيح البخاري 6/ 23

فالدعاء عبادة أمر الله بها، فمن دعا الله وحده فهو موحد، ومن دعا غير الله فقد أشرك.
كمن يدعو الأموات ويستغيث بهم من دون الله لجلب النفع ودفع الضر!

والله تعالى يقول: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الجن].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [النحل].

وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [فاطر].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الأحقاف].

﴿ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الأحقاف].

وثبت في السنن عن النعمان بن بشير - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ »[1].

الخصومة بين الرسل وقومهم في هذا التوحيد :

وهذا التوحيد – توحيد الألوهية- هو الذي وقعت فيه الخصومة بين الرسل وأممهم.

أرسلت الرسل من أجل هذا التوحيد:

وهو الذي أرسل الله الرسل من أجل بيانه والدعوة إليه، وأنزل الكتب في تقريره وتوضيحه والاحتجاج له .

كما قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النحل: 6].

وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾ [النحل].

افتتح الرسل دعوتهم إلى الله بهذا التوحيد:

وافتتح به الرسل دعوة قومهم إلى الله ، فكل رسول يقول لقومه : ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف: 58-65-73-85].

قالها : نوحٌ ، وهودٌ ، وصالحٌ، وشعيبٌ ، وكلُّ رسولٍ – صلواتُ الله وسلامه عليهم أجمعين.

[1] سنن أبي داود 2/ 76 ، سنن الترمذي ت شاكر 5/ 456 .

قال تعالى: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [العنكبوت].

وقال تعالى عن نبيه يوسف -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- : ﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يوسف].

ليس للمشركين حجة في شركهم:

وليس للمشركين مستندٌ في شركهم، لا من عقل صحيح ، ولا من نقل عن المرسلين. قال تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الزخرف].

والمعنى: أنه لا يوجد أحد من المرسلين دعا إلى عبادة آلهة مع الله ؛ بل كلهم من أولهم إلى آخرهم يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

ونبه الله-عَزَّوَجَلَّ- إلى دليل عقلي يبطل شرك المشركين، فقال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [الأحقاف].

فهذا دليلٌ عقليٌّ قاطعٌ على أن كل من سوى الله فعبادته باطلة، إذ لم يخلقوا شيئاً ، ولم يكن لهم معاونة على خلق شيء، وإنما الله وحده المتفرد بذلك ، فلم عبادتهم إذن !؟ ثم نفى الله أن يكون للمشركين دليل من النقل عن الكتب المنزلة أو الرسل المرسلة فيما ذهبوا إليه

من الشرك، فبان أن لا حجة للمشركين مطلقاً، فكانوا من الخالدين في نار جهنم وبئس المصير .

ومما تقدم يعلم أن هذا التوحيد هو أول الواجبات وأهم المهمات ، وهو الذي لا يقبل الله من أحد دينا سواه.

❁❁❁❁❁❁

أسئلة تقويمية

1 - ما توحيد الإلهية ؟وما ضده ؟

2- ما الدليل على أن من مات على الشرك دخل النار؟

3- من المشرك ؟

4- ما أقسام التوحيد الثلاثة ؟

5- توحيد الألوهية (العبادة) هو الذي وقعت فيه الخصومة بين الرسل وأممهم . ناقش ذلك .



.

المعتقد الصحيح في الإسلام وأركانه

تعريف الإسلام:

وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

أركان الإسلام:

1. أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله.
2. وتقيم الصلاة.
3. وتؤتي الزكاة.
4. وتصوم رمضان.
5. وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا.

والدليل على ذلك:

عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا...الحديث[1]

---

[1]- صحيح مسلم (1/ 37)

المعتقد الصحيح
في الإيمان وأركانه الستة

تعريف الإيمان:

الإيمان لغة: هو التصديق المستلزم للقبول والإذعان .

والإيمان شرعا: هو القول باللسان والتصديق بالقلب والعمل بالجوارح ويزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

والفرق بين الإسلام والإيمان:

الإسلام والإيمان من الألفاظ التي إذا جُمع بينها في الذِّكر فُرِّق بينها في المعنى ونظير ذلك كلمتَا الفقير والمسكين، والبر والتقوى وغير ذلك.

أركان الإيمان الستة

الركن الأول
الإيمان بالله

وهو يتضمن أربعة أمور:

1- الإيمان بوجوده -سُبْحَانَهُوَتَعَالَى- .

2- والإيمان بربوبيته ؛ أي: الانفراد بالربوبية.

3- والإيمان بانفراده بالألوهية.

والإيمان بأسمائه وصفاته، لا يمكن أن يتحقق الإيمان إلا بذلك، فمن لم يؤمن بوجود الله؛ فليس بمؤمن، ومن آمن بوجود الله لا بانفراده بالربوبية؛ فليس بمؤمن، ومن آمن بالله وانفراده بالربوبية لا بالألوهية؛ فليس بمؤمن، ومن آمن بالله وانفراده بالربوبية وبالأُلوهية لكن لم يؤمن بأسمائه وصفاته؛ فليس بمؤمن، وإن كان الأخير فيه من يُسلب عنه الإيمان بالكلية ، وفيه من يُسلب عنه كمال الإيمان .

الركن الثاني
الإيمان بالملائكة

يكون بالتصديق بوجودهم ، وما ذكر لنا من أسمائهم ، وماذكر لنا من أعمالهم .

قال الله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [البقرة: 177].

وفي صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ- الطويل في سؤال جبريل للنبي محمد -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ-عن الإيمان ، قال -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ-: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[1].

وَصْفُ الملائكة :

وقد وصفهم الله تعالى في كتابه بقوله : ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠ ﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى أيضا: ﴿ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧ ﴾ الأنبياء].

---
[1] صحيح مسلم 1/ 37 .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩ ٢٠٦ ﴾ [الأعراف].

علاقة الملائكة بالله عز وجل:

فهم عبيد لله -سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ- ، وخلق من مخلوقاته العظيمة ، لايستحقون شيئًا من العبادة . قال تعالى : ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٤٠ ﴾ [سبأ].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ٨٠ ﴾[آل عمران].

وهم مطيعون لله سبحانه وتعالى ولا يعصون أمره لقول الله تعالى: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ التحريم: ٦

علاقة الملائكة بالكون :

هم مخلوقات موجودة في الدنيا ، وخلقت من نور ، ومنهم من هو موكل بالقطر ، ومنهم من هو موكل بقبض الأرواح ، ومنهم من هو موكل بنفخ الصور ، ومنهم من هو موكل بأعمال أخرى.

علاقة الملائكة بالإنسان:

أنّ منهم من هو موكل بنفخ الروح ، ومنهم من هو موكل بالحفظ ، ومنهم من هو موكل بكتابة الأعمال ، ومنهم من هو موكل بقبض الروح ، ومنهم من هو موكل بسؤال الميت في قبره ، ومن علاقتهم بالبشر أنهم يستغفرون للّذين آمنوا ، ولهم علاقات أخرى بالإنسان ذُكِرت في الكتاب والسنة زيادة على ما ذكرنا .

صفة خلق الملائكة :

وفي صحيح مسلم عن عائشة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا- قالت : قال رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «خُلِقَتِ الملائكةُ منْ نورٍ، وخُلِقَ الجَانُّ من مارجٍ من نارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا قد وُصِفَ لَكُمْ»[1].

ومن صفة خلقهم أن لهم أجنحة ، فمنهم من له جناحان جناحانِ، ومنهم من له ثلاثةٌ ثلاثةٌ ، ومنهم من له أربعةٌ أربعةٌ ، وهكذا ، قال الله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [فاطر].

وفى صحيح البخاري عن ابن مسعود - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-:

« أن النبيَّ -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رأى جِبْرِيلَ لهُ سِتُّمائةِ جَناحٍ»[2].

قدرتهم على التشكل :

وقد أقدرهم الله تعالى على التشكل بالأجسام الحسنة ، كما تمثل جبريل -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- لمريم بشراً سوياً وكما تمثلوا لإبراهيم -عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ-، عندما حلوا عليه ضيوفاً مكرمين ، وكما تمثلوا للوطٍ -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- عندما جاؤوا لإنزال العذاب بقومه ، ونحو ذلك.

الرد على المشركين في قولهم: الملائكة بنات الله:

وقد ردَّ الله على المشركين الذين زعموا أنهم بنات الله تعالى – تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً فقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا

---

[1] صحيح مسلم 4/ 2294

[2] صحيح البخاري 4/ 115

بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى : ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الصافات].

ثم قال تعالى عن الملائكة : ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [الصافات].

جبريل -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-:

منهم : جبريل -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- ، الموكل بالوحي قال تعالى : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [البقرة].

وقد رآه النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-في الأَبْطح له ستمائة جناح ، قد سد عظم خلقه الأفق .

ثم رآه ليلة المعراج – أيضاً – في السماء كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ ﴾ [النجم].

ولم يره -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-في صورته إلا هاتين المرتين ، وأما بقية الأوقات ففي صورة رجل، وغالباً في صورة دِحْيَةَ الكلبي – رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ-.

قال الله تعالى في جبريل : ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [التكوير].

ميكائيل - عَلَيْهِ السَّلَامُ -:

ومنهم: ميكائيل، وهو الموكل بالقطر وتصاريفه إلى حيث أمره الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-؛ فقد أخرج الإمام أحمد عن أنس أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال لجبريل: « مالي لَمْ أرَ ميكائيل ضاحكاً قط؟» فقال: « ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار»[1] قال الله تعالى في ميكائيل: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [البقرة].

إسرافيل - عَلَيْهِ السَّلَامُ -:

ومنهم: إسرافيل، وهو الموكل بالصور ينفخ فيه ثلاث نفخات بأمر ربه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة القيام لرب العالمين.

وهؤلاء الثلاثة من الملائكة هم الذين ذكرهم النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في دعائه من صلاة الليل: «اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»رواه مسلم[2].

وفي سنن النسائي عن عائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أنها قالت: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ، وَرَبَّ إِسْرَافِيلَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ حَرِّ النَّارِ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»[3]

---

[1] مسند أحمد 21/ 55 ، إسناده صحيح، انظر « السلسلة الصحيحة» 2511 .

[2] صحيح مسلم 1/ 534

[3] سنن النسائي 3/ 72

مَلَكُ الموت - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ -:

ومنهم : ملك الموت، وهو الموكل بقبض الأرواح . قال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [السجدة].

ملائكة الحفظ :

ومنهم : الملائكة الموكلون بحفظ بني آدم في كل حالاته من حل وسفر ونوم ويقظة.

قال تعالى: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ [الرعد].

قال ابن عباس -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا-، في قوله تعالى : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ ﴾: «مَلَائِكَةٌ يَحْفَظُونَهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، فَإِذَا جَاءَ قَدَرُهُ خَلَّوْا عَنْهُ»[1]

الكرامُ الكاتبون عليهم السلام:

ومنهم : الكرام الكاتبون ، وهم الذين يكتبون أعمال العباد من خير وشر.

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الانفطار].

كثرة الملائكة عليهم السلام :

والملائكة خلقٌ كثير لا يحصي عددهم إلا الله ، وقد أخبر -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أن البيت المعمور في السماء «يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ» متفق عليه[2] .

---

1 تفسير الطبري 13/ 458

2 صحيح البخاري 4/ 110 ، صحيح مسلم 1/ 150.

حكم من أنكر وجود الملائكة:

ومن أنكر وجود الملائكة فقد كفر بإجماع المسلمين، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [النساء].

الركن الثالث
الإيمان بالكتب المنزلة

فإن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- قد أنزل مع كل رسول كتاباً ، كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد:25].

وقال تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [البقرة].

فنؤمن بهذه الكتب ، ونعلم أنها من عند الله امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [البقرة].

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [النساء].

وقوله تعالى: ﴿ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ [الشورى: 15].

وقــال تعــالى : ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ ﴾ [البقرة].

الكتب المنزلة من كلام الله تعالى:

ونؤمن بأن هذه الكتب من كلام الله -سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ- لا من كلام غيره ، وأن الله -سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ-تكلم بها حقيقةً كما شاء على الوجه الذي أراد .

أنواع الوحي :

فمنها : المسموع منه من وراء حجاب بدون واسطة ، كما كلم الله موسى تكليماً بدون واسطة ، قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ [الأعراف: 143].

وقــال تعــالى : ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝١٤٤ ﴾ [الأعراف].

ومنها : ما يُسمعه الله -سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ- الرسول الملكي، ويأمره بتبليغه منه إلى الرسول البشري ، قــال تعــالى : ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ۝٥١ ﴾ [الشورى].

الإيمان بما في الكتب من الشرائع :

كما أن الإيمان بالكتب يتضمن الإيمان بكل ما فيها من الشرائع ، وأنه كان واجباً على الأمم – الذين نزلت إليهم – الانقيادُ لها والحكم بما فيها .

وأن هذه الكتب يصدق بعضها بعضاً، لا يُكذِّبه .

نسخُ الكتب بعضها ببعضٍ حقٌّ :

وأن نسخ الكتب الأولى بعضها ببعض حق، كما نسخ بعض شرائع التوراة بالإنجيل ، قال تعالى في عيسى -عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ-: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ [آل عمران: 50].

وكما نسخ القرآن ماقبله من الكتب السماوية، قال تعالى : ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: 48]، وقال تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [القلم].

والإيمان بكتب الله يجب أن يكون إجمالاً فيما أجمل ، وتفصيلاً فيما فصلؤ.

أسماء كتب الله :

وقد فصل الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أسماء بعض كتبه ، فسمى الله التوراة التي أنزلت على موسى ، والإنجيل الذي أنزل على عيسى ، والزبور الذي أنزل على داود ، والقرآن الذي أنزل على محمد-صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وذكر -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- صحف إبراهيم وموسى عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ .

فنؤمن بهذه الكتب على هذا التفصيل ، كما أن الله ذكر كتباً كثيرةً إجمالاً لم يُسم منها شيئاً ، فنؤمن بها – أيضا – على هذا الإجمال، قال تعالى : ﴿ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ﴾ [الشورى: 15].

القرآن الكريم آخر الكتب وناسخٌ لجميعها :

والقرآن الكريم الذي أنزله الله على نبينا محمد -صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-هو آخر الكتب السماوية، فلا كتاب بعده .

وهو ناسخٌ لجميع الكتب المتقدمة ، عام للثقلين الإنس والجن، قال تعالى :

﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [القلم].

شاملٌ لجميع ما يحتاجه الناس في دينهم ودنياهم ، قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: 3].

مُعْجِزٌ لا يستطيعُ أحد أن يأتي بمثله ، قال تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء].

وقال تعالى:

﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت].

القرآن محفوظ :

محفوظ من الزيادة والنقصان، قال تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر].

الركن الرابع
الإيمان برسله

يكون بالتصديق الجازم بأن الله قد بعث في كل أمةٍ رسولاً يدعوهم إلى عبادة الله وحده لاشريك له، والكفر بما يُعبدُ من دونه.

وأن جميعهم صادقون مصدَّقون بارون راشدون كرام بررةٌ أتقياءُ أمناءُ هداةٌ مهتدون ، وأنهم بلغوا رسالات الله جميعاً ، وأن الله اتخذ إبراهيم خليلاً ، واتخذ محمداً -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ-خليلاً ، وكلم موسى تكليماً ، ورفع إدريس مكاناً علياً، وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.

وأن الله فضل بعضهم على بعض ، ورفع بعضهم على بعض درجات . وأن محمداً -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر.

اتفاق دعوة الرسل في أصل الدين:

وأن دعوتهم من أولهم إلى آخرهم اتفقت في أصل الدين ، وهو توحيد الله تعالى بألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران: 19].

وقال : ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥ ﴾ [آل عمران].

وقال تعالى عن نوح : ﴿ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٧٢ ﴾ [يونس].

وقال تعالى عن موسى : ﴿ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ٨٤ ﴾ [يونس].

وقال تعالى عن سليمان على لسان بلقيس: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النمل].

وقال تعالى: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الشورى].

عدد الرسل الأنبياء :

وعدد الرسل : ثلاثمائة وخمسة عشر.

والأنبياء : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا. ثبت ذلك في الأحاديث عن رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من حديث أبي أمامة ، ومن حديث أبي ذر .

الفرق بين الرسول والنبي :

والفرق بين الرسول والنبي: أن النبي هو الذي يُنَبِّئُه الله ، وهو يُنبِّئ بما أنبأ الله به ، فإن أُرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول.

وأما من كان إنما يعمل بالشريعةِ قبله ولم يُرْسَل هو إلى أحدٍ يُبلِّغه عن الله رسالةً فهو نبيٌّ وليس برسول.

قال مجاهد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: « النبي وحده : الذي يُكلَّم ويُنزَّل عليه ، ولا يُرسل » . وعليه فإن كل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولاً.

أسماء الرسل والأنبياء:

وقد سمى الله- عَزَّوَجَلَّ- لنا جملة منهم ؛ آدم، ونوح، وإدريس، وهود، وصالح وإبراهيم ،وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، ولوط ،وشعيب، ويونس، وموسى، وهارون،

وإلياس ، وزكريا، ويحيى، واليسع، وذي الكفل ، وداود ، وسليمان، وأيوب، وذكر الأسباط جملة ، وعيسى ومحمد صلى الله وسلم عليهم أجمعين.

وقص علينا من نبئهم وأخبارهم ما فيه كفاية وعبرة وعظة: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: 164].

فنؤمن بجميعهم تفصيلا فيما فصل الله، وإجمالاً فيما أجمل الله.

الرسل والأنبياء بشرٌ أكرمهم الله بالنبوة والرسالة :

ونؤمن بأن جميع الرسل والأنبياء بشر مخلوقون ليس لهم من خصائص الربوبية شيء.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف].

وقال تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [إبراهيم].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الفرقان].

وقال : ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنعام].

وقـــــال : ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨ ﴾ [الأعراف].

الرسل والأنبياء عبيد الله :

ونؤمن بأنهم عبيدٌ من عبادِ الله أكرمهم الله بالرسالة ، ووصفهم بالعبودية في أعلى مقاماتهم ، وفي سياق الثناء عليهم.

نبينا محمد -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- خاتم الأنبياء :

ونؤمن بأن الله تعالى ختم الرسالات برسالة محمد -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- فأرسله إلى جميع الثقلين : الإنس والجن كما قال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: 158]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨ ﴾ [سبأ].

وأخبر تعالى أنه أخذ العهد على النبيين إن أدركوا زمن نبينا محمد -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- أن يتبعوه ، وفي هذا دليلٌ واضحٌ على أن رسالته -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- خاتمة الرسالات، وأنها ناسخة لكل رسالة مضت؛ قال تعالى : ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨١ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٨٢ ﴾ [آل عمران].

بشارة الرسل بنبينا محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

وقد بَشَّر الرسل – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- برسالة محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ [الصف].

وقال تعالى : ﴿ ۞ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ [الأعراف: 156-157].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-قال : قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»[1]

من كَذّب برسالة محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-كفر :

فمن كذَّب برسالة محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فقد كفر بجميع الرسل حتى برسوله الذي يزعم أنه مؤمن به متبع له ، قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الشعراء]،فجعلهم مكذبين لجميع الرسل مع أنه لم يسبق نوحاً رسول.

[1] صحيح مسلم 1/ 134

من ادعى النبوة بعد محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كفر:

ونؤمن أن لا نبي بعد محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فمن ادعى بعده النبوة كفر، قال الله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال:

" فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ "[1]

من كذّبَ برسالة أحدٍ من الأنبياء والمرسلين كفر:

ومن كذّب برسالة أحد من الأنبياء والمرسلين فقد كفر ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ۝١٥١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝١٥٢ ﴾ [النساء].

✡✡✡✡✡✡

[1] صحيح مسلم 1/ 371

الركن الخامس
الإيمان باليوم الآخر

وهو يوم القيامة وما يجري فيه من أمور وأهوالٍ.

يوقنُ أهل السنة بذلك ، كما قال تعالى: ﴿ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ ﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧ ﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥ ﴾ [الحجر].

مقداره:

قال تعالى في سورة السجدة (يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) وقال في سورة المعارج (تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) ويستفاد من هذه الآيات أنّ أيام الدنيا تختلف عن أيام الآخرة .

وما جاء في الآيتين السابقتين من اختلاف في العدد فالجمع بينهما أن آية السجدة في الدنيا فإنه سبحانه وتعالى يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقدار هذا اليوم الذي يعرج إليه الأمر مقداره ألف سنة مما نعد لكنه يكون في يوم واحد ولو كان بحسب ما نعد من السنين لكان عن ألف سنة.

البعث :

ويدخل في ذلك : الإيمان بالبعث وهو إحياء الموتى.

قال الله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨ ﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٠٤ ﴾ [الأنبياء].

صحائف الأعمال:

والإيمان بصحائف الأعمال تعطي باليمين أو من وراء الظهور بالشمال.

قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ١٩ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ٢٠ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ٢١ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ٢٣ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ٢٤ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ٢٦ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ٢٧ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ٢٨ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ٢٩ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ٣١ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ٣٢ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ٣٤ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ٣٦ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ٣٧ ﴾ [الحاقة].

والإيمان بالموازين توضع يوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً.

قال الله تعالى: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٠٢ ﴾ [المؤمنون].

الشفاعة:

والإيمان بالشفاعة في ذلك الموقف، وهي أنواع:

الشفاعة العظمى:

وهي خاصة بالنبي محمد -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وذلك حين يشفع في أهل الموقف ليقضي بينهم.

والشفاعة في استفتاح باب الجنة لأهلها:

وهي خاصة بالنبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

والشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه :

وهي خاصة بالنبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-حين يشفع في عمه أبي طالب ليخفف عنه العذاب في نار جهنم ، وذلك جزاء ما كان يحوطه ويغضب له.

والشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة:

قيل: إن ذلك خاصٌّ بالنبي محمد-صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-، وقيل : ليس خاصًّا به صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-.

والشفاعة في أهل الكبائر:

وهم العصاة من الموحدين – الذين دخلوا النار بذنوبهم؛ ليخرجوا منها، يشفع بذلك رسول الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-وغيره من المرسلين والملائكة والصالحين والشهداء،والقرآن والصيام شفيعان لأصحابها يوم القيامة. وكذا أولاد المؤمنين شفعاء لآبائهم.

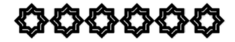
الحوض:

والإيمان بالحوض – حوض نبينا محمد -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل ، وأطيب من رائحة المسك، طوله شهر وعرضه شهر، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً.

الصراط:

والإيمان بالصراط المنصوب على متن جهنم يمر الناس عليه على قدر أعمالهم ؛ فأولهم كالبرق، ثم كمرِّ الريح، ثم كمر الطير، والنبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- قائمٌ على الصراط يقول : يا رب ! سلم ، سلم، حتى تعجزَ أعمال العباد ، حتى يجيءَ الرجل فلا يستطيع السير إلا زاحفاً . وفي جنبتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أُمرت به: فمَخْدوشٌ ناجٍ ومُكَرْدَسٌ في النار.

ونؤمن بكل ما جاء في الكتاب والسنة من أخبار ذلك اليوم وأهواله ،أعاننا الله عليها .



الركن السادس
الإيمان بالقدر خيره وشره

وهو التصديق والجزم بأن الله قدر مقادير الخلائق ، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القمر].

وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأحزاب].

مراتب القدر:

ومراتب القدر أربع:

الأولى: العلم: فنؤمن بأن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بكل شيء عليم ، علم ما كان وما يكون لو كان كيف يكون ، بعلمه الأزلي الأبدي ، فلا يتجدد له علم بعد جهل ، ولا يلحقه نسيان بعد علم.

الثانية : الكتابة: فنؤمن بأن الله كتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الحج].

وقال تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ [طه].

وقال تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [يس].

الثالثة : المشيئة، فنؤمن بأن الله تعالى قد شاء كل ما في السموات والأرض ، ولا يكون شيء إلا بمشيئته. ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ ﴾ [يس].

وقال تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ٢٥٣ ﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ ﴾ [الأنعام: 35].

وقال تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [هود: 118].

وقال تعالى: ﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي ﴾ [السجدة: 13].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ٤٤ ﴾ [فاطر].

الرابعة: مرتبة الخلق، فهو -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- خالق كل عامل وعمله ، وكل متحرك وحركته ، وكل ساكن وسكونه، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦ ﴾ [الصافات].

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ ﴾ [الزمر].

أفعال العباد:

ونؤمن مع ذلك أن للعباد قدرة على أعمالهم ولهم مشيئة وإرادة، والله تعالى هو خالقهم وخالق مشيئتهم وقدرتهم وأقوالهم وأعمالهم ، والأقوال والأفعال الصادرة منهم تضاف إليهم حقيقةً ، وعليها يثابون أو يعاقبون.

وهم لا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله تعالى عليه ،ولا يشاؤون إلا أن يشاء الله -عَزَّوَجَلَّ-.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٣٠ ﴾ [الإنسان] .

وقال : ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩ ﴾ [التكوير] .

وقال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ ﴾ [البقرة286] .

وقال تعالى: ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧٢ ﴾ [الزخرف]، أي: بسبب العمل.

وقال تعالى: ﴿ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٤ ﴾ [السجدة] .

وقال تعالى: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨ ﴾ [الزلزلة].

فالمقادير لها أسباب توصل إليها ؛ فكما أن النكاح سبب الولد، والحرث سبب وجود الزرع، فكذلك العمل الصالح سبب دخول الجنة، والعمل السيء سبب دخول النار.

******

أسئلة تقويمية

1-ما أركان الإيمان ؟

2-كيف نحقق الإيمان بالله تعالى؟

3-كيف نحقق الإيمان بالملائكة -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-؟

4-وصف الله-تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- الملائكة في كتابه أنهم عباد مكرمون لا يستحقون شيئاً من العبادة . اذكر الدليل على ذلك؟

5-ردّ الله على المشركين الذين زعموا أن الملائكة بنات الله ! اذكر الدليل؟

6-اذكر بعض أسماء الملائكة باعتبار ما هيأهم الله له، ووكلهم به؟

7-ما حكم من أنكر وجود الملائكة -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- ؟

8-كيف نحقق الإيمان بالكتب المنزلة؟ وما الدليل على ذلك؟

9-هل الكتب المنزلة من كلام الله؟ اذكر الدليل؟

10-اذكر أسماء كتب الله ؟وكيف نحقق الإيمان بها على وجه التفصيل و الإجمال؟

11-القرآن شامل لكل ما يحتاجه الناس، وهو معجز لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله، اذكر الدليل؟

12-كيف نحقق الإيمان بالرسل -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-؟

13-هل اتفقت دعوة الرسل فيما يأمرون به، وينهون عنه؟ وما الدليل على اتفاقهم في أصل الدين؟

14-من هم أولو العزم من الرسل؟ وكم عدد الأنبياء والرسل الذين بعثهم الله إلى قومهم؟

15-ما الفرق بين الرسول والنبي؟

16-من أول الرسل ؟ومن آخرهم ؟ مع ذكر الدليل .

17-هل يسعُ أحد من الناس أن لا يؤمن بما جاء به الرسول -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ-؟وما الدليل؟

18-ما حكم من كذّب برسالة محمد ، أو ادعى النبوة بعده ، أو كذب برسالة أحد من الأنبياء؟

19-كيف نحقق الإيمان باليوم الآخر؟

20-اذكر أنواع الشفاعة؟

21-الإيمان بالصراط المنصوب على متن جنهم واجبٌ والناس يتفاوتون في المرور عليه . وضح ذلك؟

22-ما مراتب القدر عند أهل السنة والجماعة؟



الحكمة من خلق الجن والإنس

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات].

وقولـــــه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل].

وقوله: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء].

وقوله: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء: 36].

وقوله: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم

بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝١٥٢ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝١٥٣ ﴾ [الأنعام].

قال ابن مسعود- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: « من أراد أن ينظر إلى وصية محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ إلى قوله: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا ﴾... .. الآية»[1] .

وعن معاذ بن جبل – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ قَالَ مِثْلَهُ ثَلاَثًا: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى العِبَادِ» قُلْتُ: لاَ، قَالَ: «حَقُّ اللهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: " هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ: أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ ". [أخرجاه في الصحيحين[2]].

الشرح

اعلم أن التوحيد المطلق : العلم والاعتراف بتفرد الرب بصفات الكمال، والإقرار بتوحده بصفات العظمة والجلال، وإفراده وحده بالعبادة.

وهو ثلاثة أقسام:

أحدها- توحيد الأسماء والصفات:

وهو اعتقاد انفراد الرب-جَلَّجَلَالُهُ-بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة، والجلالة والجمال التي لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه، وذلك بإثبات ما أثبته الله

1 رواه الترمذي 3070 وحسنه.

2 صحيح البخاري 4/ 29 ، صحيح مسلم 1/ 58.

لنفسه، أو أثبته له رسوله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- من جميع الأسماء والصفات، ومعانيها وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله، من غير نفي لشيء منها ولا تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل ، ونفي ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- من النقائص والعيوب، وعن كل ما ينافي كماله.

الثاني- توحيد الربوبية :

بأن يعتقد العبد أن الله هو الرب المتفرد بالخلق والرزق والتدبير الذي ربى جميع الخلق بالنعم، وربى خواص خلقه- وهم الأنبياء وأتباعهم- بالعقائد الصحيحة، والأخلاق الجميلة، والعلوم النافعة، والأعمال الصالحة، وهذه هي التربية النافعة للقلوب والأرواح المثمرة لسعادة الدارين.

الثالث- توحيد الإلهية ، ويقال له: توحيد العبادة:

وهو العلم والاعتراف بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وإفراده وحده بالعبادة كلها وإخلاص الدين لله وحده، وهذا الأخير يستلزم القسمين الأولين ويتضمنهما؛ لأن الألوهية التي هي صفة تعم أوصاف الكمال وجميع أوصاف الربوبية والعظمة، فإنه المألوه المعبود لما له من أوصاف العظمة والجلال، ولما أسداه إلى خلقه من الفواضل والأفضال، فتوحده تعالى بصفات الكمال وتفرده بالربوبية يلزم منه أن لا يستحق العبادة أحد سواه.

ومقصود دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم: الدعوة إلى هذا التوحيد .

فهذه النصوص تدل على أن الله خلق الخلق لعبادته والإخلاص له، وأن ذلك حقه الواجب المفروض عليهم. فجميع الكتب السماوية وجميع الرسل دعوا إلى هذا التوحيد، ونهوا عن ضده من الشرك والتنديد، وخصوصاً محمد -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-.

وهذا القرآن الكريم، فإنه أمر به وفرضه وقرره أعظم تقرير، وبينه أعظم بيان، وأخبر أنه لا نجاة ولا فلاح ولا سعادة إلا بهذا التوحيد، وأن جميع الأدلة العقلية والنقلية

والأفقية والنفسية أدلة وبراهين على هذا الأمر بهذا التوحيد ووجوبه.

فالتوحيد هو حق الله الواجب على العبيد، وهو أعظم أوامر الدين وأصل الأصول كلها، وأساس الأعمال.

فالله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ-بَيّن لنا الحِكمة من خلقه الثقلين: الجن والإنس، وهي: أنه إنما خلقهم لشيء واحد، وهو: العبادة، ولهذا جاء بالحصر ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦ ﴾ [الذاريات].

حَصَر الحِكمة من خلق الجن والإنس في شيء واحد وهو: أنهم يعبدونه، فالحِكمة من خلق المخلوقات هي: عبادة الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ-، خلق الله الجن والإنس للعبادة، وخلق كل الأشياء لمصالحهم، سَخَّرها لهم ليستعينوا بها على عبادته -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ-.

ومعنى ﴿لِيَعْبُدُونِ ﴾ ، أي: يفردوني بالعبادة، أو تقول بعبارة أخرى: ﴿ لِيَعْبُدُونِ ﴾ ليوحِّدون؛ لأن التّوحيد والعبادة شيء واحد.

ومع كونه -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ-خلقهم لعبادته؛ فمنهم من قام بالعبادة وعَبَدَ اللهَ، ومنهم من لم يعبدِ الله؛ إذ لا يلزم من كونه خلقهم لعبادته أن يعبدوه كلهم، بل يعبده من شاء الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ-له الهداية، ويكفر به من شاء الله له الضلالة، ومعنى: ﴿ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ، أي: إلاَّ لآمرهم بعبادتي، أو لآمرهم وأنهاهم، كما قال﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ٣٦ ﴾ [القيامة].

أي: لا يؤمر ولا يُنَهى.

وما دام أن الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ-خلق الثقلين لعبادته ؛ فهذا يدل على أن العبادة هي الأصل، وأن التّوحيد هو الأصل والأساس.

ثم قال﴿ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ٥٧ ﴾ [الذاريات].

هذا فيه بيان أن الله -جَلَّجَلَالُهُ- ليس بحاجة إلى عبادتهم، وإنما هم المحتاجون إلى عبادة الله ﴿ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ۝٥٨ ﴾ [الذاريات].

فالله خلق الثقلين لعبادته، ولكنه -جَلَّجَلَالُهُ- ليس محتاجاً إلى عبادتهم، إذاً من هو المحتاج إلى العبادة؟ هم العباد أنفسهم.

ولهذا قال: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝٨ ﴾ [إبراهيم].

فالله لا تضره معصية العاصي، ولا تنفعه طاعة المطيع، وإنما الطاعة تنفع صاحبها، والمعصية تضر صاحبها، قال -تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ-: ﴿ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَ﴾ [الزمر: 7].

وفي الحديث القدسي، أن الله -سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ- يقول: « يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»[1].

وفي قوله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- لمعاذٍ: « أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله....» الحديث

---

[1] صحيح مسلم 4/ 1994

هذا الحديث العظيم فيه: فضيلة لمعاذ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، وفضائله كثيرة، وهو معاذ بن جبل الخَزْرَجي الأنصاري، أحد أَوْعِيَة العلم، وأعلم هذه الأمة بالحلال والحرام، وقد استخلفه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على مكة لما فتحها قاضياً ومعلِّماً، ثم أرسله- أيضاً- في السنة التاسعة أو العاشرة إلى اليمن قاضياً ومعلِّماً- كما سيأتي-، ثم جاء من اليمن بعد وفاة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فأرسله عمر إلى الشام قاضياً ومعلِّماً، وتوفي هناك- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في الشام في طاعون عُمْوَاس المشهور.

قوله: « قال: كنت رديف النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-»، يعني: راكباً معه.

«على حمار» هذا فيه: تواضع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأنه يركب الحمار، مع أنه أشرف الخلق على الإطلاق، وتواضعه أيضاً -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في إرداف صاحبه معه، وفيه: جواز الإرداف على الدّابّة إذا كانت تُطيق ذلك، ولا يشق عليها.

«فقال لي: يا معاذ» أراد النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يعلمه هذا الحكم العظيم، ولكنه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أراد أن يُلْقِيَه إليه بطريقة السؤال والجواب، ليكون ذلك أَدْعى إلى الانتباه والاهتمام، فإن التعليم عن طريق السؤال والجواب من أعظم الطرق الناجحة في تعليم العلم؛ لأنك لما تسأل الطالب عن شيء يجهله ثم يتطلع إلى الجواب، أحسن من أن تلقي إليه المسألة ابتداءً، وهو على غير انتباه واستعداد لاستقبالها، وهذه طريقة من طرق التعليم، وهي طريقة نبويّة، استعملها النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في كثير من الأحوال.

«أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله» هذه مسألة عظيمة.

قال معاذ: « قلت: الله ورسوله أعلم» هذا فيه: تأدب طالب العلم في أنه إذا سُئل عن شيء وهو لا يعرفه، أن يقول: الله ورسوله أعلم، ولا يدخل ويَتَخَرَّص في شيء لا يعرفه، بل يَكِلُ العلم إلى عالِمِه، هذه- أيضاً- من طرق التعلُّم الناجحة، هي: أن الإنسان إذا سُئل عن علم لا يعلمه أو عن مسألة وهو لا يعرفها، لا يحمله الأنفة بأن لا يقول: لا أدري، بل

يقول: لا أدري، أو يقول: الله أعلم، ولا غَضَاضة عليه في ذلك، بل هذا يدل على فضله وورعه وأدبه مع الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-، وأدبه مع المعلم.

وقد سُئل الإمام مالك عن أربعين مسألة، فأجاب عن أربع مسائل منها، وقال عن البقيّة: لا أدري، فقال السائل: جئتك من بلاد كذا وكذا أسألك عن مسائل، وتقول لا أدري؟ فقال له: اركب راحلتك واذهب إلى البلد الذي جئت منه، وقل: سألت مالكاً وقال: لا أدري. هكذا أدب العلماء.

وهذا معاذ - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- يقول للنبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «الله ورسوله أعلم»، ففي هذا: رَدُّ العلم إلى عالمه، وعدم تدخُّل الإنسان في شيء وهو لا يدري عن حكمه، والله- تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-يقول: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: 36]. ، ويقول -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- لما ذكر المحرّمات في قوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأعراف: 33].

ختمها بقوله: ﴿ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ١٦٩ ﴾ [البقرة].

وقال: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: 144].

والآيات والأحاديث في هذا كثيرة، فمن يريد النجاة لنفسه، ويريد السلامة، وأيضاً يريد السلامة للناس؛ فإنه لا يتدخل في شيء لا يعرفه؛ لأنه يُوَرِّطُ نفسه، ويُوَرِّطُ الآخرين معه، لأنه إذا أجاب بخطأ ضلّل الناس ﴿ لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ، فهذه مسألة عظيمة، يجب علينا أن نتعقّلها، وأن الإنسان لا يتسرّع في الإجابة عن شيء، إلاَّ إذا كان يعلمه تماماً، وإلاَّ فليقف على شاطئ السلامة، ولا يدخل في لُجَّةِ البحر وهو لا يُحسن السباحة.

«قلت: الله ورسوله أعلم»: هذا يُقال في حياة النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: الله ورسوله أعلم، أما بعد وفاة النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فإنه يقال: الله أعلم؛ لأن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قد انتقل من هذه الدار إلى الرّفيق الأعلى إلى الدار الآخرة، فيُوكل العلم إلى الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-؛لأن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-أعطى رسوله علماً عظيماً : ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ [النساء].

فالرسول -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عنده علم عظيم من الله، ويجيب في حياته، ولكن بعد وفاته قد بلّغ البلاغ المُبين -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأنهى مهمّته ورسالته، وانتقل إلى ربه -عَزَّ وَجَلَّ-، فلا يجيب في مسألة.

فلما تهيّأ معاذ للجواب وتنبّه وتطلع؛ ألقى عليه النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الجواب، فقال: «حق الله على العباد: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً» هذا هو حق الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-على عباده، من أولهم إلى آخرهم، كما في الآية: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات].

هذا هو حق الله على العباد، وهو أول الحقوق، وآكد الحقوق؛ لأن الإنسان منّا عليه حقوق، أعظمها: حق الله، ثم حق الوالدين، ثم حق الأقارب، ثم حق اليتامى والمساكين والجيران والمماليك، كما في قوله-تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-:﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: 36].

فهذه عشرة حقوق، ذكرها الله-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-في هذه الآية، أولها: حق الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-وكما في الآيات في سورة الإسراء التي ذكر الله فيها خمسة عشر حقًّا، أولها: حق الله في قوله﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإسراء].

ثم جاء بحق الوالـدين : ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا ﴾ [الإسراء: 23] إلى قولـــه: ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ﴾ [الإسراء: 39].

ختم الآيات بما بدأها به وهو حق الله على عباده أن يعبدوه، ولا يكفي هذا، أن يعبدوه، بل ولا يشركوا به شيئاً؛ لأن العبادة لا تكون عبادة إلاَّ إذا خَلَصَتْ من الشرك، أما إذا خالطها شرك فإنها لا تكون عبادة لله، كما قال -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف].

لأن الشرك يُبطل العبادة، ويُبطل سائر الأعمال، ولا يصحُّ معه عمل، مهما كلّف الإنسان نفسه بالعبادات، إذا كان عنده شيء من الشرك الأكبر فإن عبادته تكون هباءً منثوراً: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾ [النور: 39].

قـال- تعـالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر].

وقال- تعالى- لما ذكر الأنبياء في سورة الأنعام: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴾ [الأنعام: 84].

إلى آخر الأنبياء الذين ذكرهم الله، قال -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنعام].

فالشرك يُحبط الأعمال، ولهذا كثيراً ما يأتي الأمر بالعبادة مقروناً بالنهي عن الشرك: ﴿ * وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: 36].

«أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئاً»، وهذا هو معنى لا إله إلاَّ الله، لأن لا إله إلاَّ الله تشتمل على النفي وعلى الإثبات، النفي: نفى الشرك، والإثبات: إثبات التّوحيد.

«أن يعبدوه» والعبادة- أيضاً- كما أنها لا تكون عبادة إلاَّ مع التّوحيد، كذلك لا تكون عبادة إلاَّ إذا كانت موافقة لما شرعه النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ-، فالعبادة وسائر الأعمال لا تصح إلاَّ بشرطين:

الشرط الأول: الإخلاص لله -عَزَّوَجَلَّ-.

الشرط الثاني: المتابعة للرسول -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ-.

فلو أن الإنسان جاء بعبادات مُحْدَثة ليس فيها شرك أبداً كلها خالصة لله، ولكنها ليست من شريعة النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ-، فهي بدع مردودة لا تُقبل، قال -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ-:

«مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[1] وفي رواية «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»[2]، فالعبادة لا تكون عبادة إلاَّ بشرطين: الإخلاص لله -عَزَّوَجَلَّ-، والمتابعة للرسول -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ-، وهذا هو معنى الشهادتين: شهادة أن لا إله إلاَّ الله، فمعناها: الإخلاص لله -عَزَّوَجَلَّ-، وشهادة أن محمداً رسول الله ومعناها: المتابعة للرسول -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ-، فالعبادات لا يصلح أن يكون فيها شيء من الاستحسانات البشريّة، أو استدراكات العقول، أو غير ذلك، مهما حسُنت نية الفاعل ما دام أنه بدعة: فلو أن إنساناً- مثلاً- قال: الصلوات خمس أنا أريد زيادة خير، أصَلِّي فريضة سادسة، زيادة خير، نقول: لا،

[1] صحيح البخاري 9/ 107 ، صحيح مسلم 3/ 1343.

[2] صحيح مسلم 3/ 1343

هذا باطل، لأن هذا شيء لم يَشْرعه الله ولا رسوله، وإن كان قصدك حسناً، فهو عمل مردود وباطل، ولهذا لما جاء ثلاثة نفر من الصحابة إلى بيت النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يسألون عن عبادة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من أجل أن يقتدوا به، فذكر أزواج النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لهؤلاء الرَّهْط عبادة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فكأنهم تقالُّوها، ولكن اعتذروا بأن الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخّر، وقالوا: أين نحن من رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أنا أصلي ولا أنام، وقال الآخر: أنا لا أتزوج النساء- يعني: يريد التَّبَتُّل -، وقال الثالث: أنا أصوم ولا أُفطر،- وفي رواية: ولا آكل اللحم-، فلما بلغ ذلك رسول الله غضب غضباً شديداً، وقال: « أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأعلمكم بالله وأتقاكم له وأخشاكم له، وإني أصلي وأنام، وأصوم وأُفطر، وأتزوج النساء، ومن رغب عن سنتي فليس مني»، وهكذا، فالعبادة لابد أن تكون مطابقة لما جاء به النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ليس فيها بدع، ولا خرافات، ولا محدثات، ولا استحسانات للعقول، أو اقتداء بفلان أو علاَّن، ما دام أن هذا المُقتدى به ليس متبعاً للرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فليس بقدوة، هذه هي العبادة، ولهذا يقول العلامة ابن القيّم -رَحِمَهُ اللَّهُ- في «النونية»:

حق الإلـه عبـادة بالأمـر لا *** بهـوى النفوس فذاك للشيطان

حق الإله عبادة بالأمر، يعني: بالشرع، فالأمر المراد به: الشرع، فلا تحدث شيئاً من عندك.

لا بهوى النفوس فذاك للشيطان، فالذي يعبد الله باستحسان عقله، وشهوة نفسه بشيء لم يَشرعه الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ليس عابداً لله، وإنما هو عابد للشيطان، لأنه هو الذي أمره بذلك، فالشيطان يأمر بالبدع والخرافات.

وقال في موضع آخر:

وعبادةُ الرحمـن غـاية حُبّـه *** مع ذُلِّ عـابده هـما قُطْـبان

وعليهـما فَـلَك العبادة دائرٌ *** ما دار حتى قـامت القُطْـبان

ومـدارهُ بالأمـر أمـر رسـوله *** لا بالهوى والنفس والشيطان

هكذا تكون العبادة، لابد أن تكون العبادة خالصة لوجه الله -عَزَّوَجَلَّ-، ليس فيها شرك، وأن تكون- أيضاً- على وفق ما جاء به رسول الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- تماماً ليس فيها بدعة.

«وحق العباد على الله: أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً»، هذا الحق للعباد على الله ليس بحق واجب على الله، وإنما هو تفضُّل منه -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ-؛ لأن الله لا يجب عليه حق لأحد، ولا أحد يوجب على الله شيئاً، كما هو مذهب المعتزلة، فهم الذين يرون أن الله يجب عليه أن يعمل كذا، يوجبون على الله بعقولهم، أما أهل السنة والجماعة فيقولون: الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ- ليس عليه حق واجب لخلقه، وإنما هو شيء تفضَّل به-سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ-وتكرَّم به، كما قال-سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ-:

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الروم]. ، هذا حق تفضل به، ونظم ذلك الشاعر بقوله:

ما للعباد عليه حق واجب *** كـلا ولا سعي لـديه ضائع

إن عُذِّبوا فبعدله أو نُعِّموا *** فبفضله وهو الكريم الواسع

فمعنى «حق العباد على الله» يعني: الحق الـذي تفضـل الله-تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ-بـه، وأوجبـه عـلى نفسه، من دون أن يوجبه عليه أحد من خلقه، بل هـو الـذي أوجبـه عـلى نفسـه، تكرّمـاً منـه بموجـب وعـده الـكريم الـذي لا يُخلفـه -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ- ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [الروم].

ما يُغفر من الذنوب وما لا يغفر بعد الممات:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾ النساء: ٤٨

يخبر تعالى أنه لا يغفر لمن أشرك به أحدا من المخلوقين، ويغفر ما دون الشرك من الذنوب صغائرها وكبائرها، وذلك عند مشيئته مغفرةَ ذلك، إذا اقتضت حكمتُه مغفرتَه.

فالذنوب التي دون الشرك قد جعل الله لمغفرتها أسبابا كثيرة، كالحسنات الماحية والمصائب المكفرة في الدنيا، والبرزخ ويوم القيامة، وكدعاء المؤمنين بعضهم لبعض، وبشفاعة الشافعين.

ومن فوق ذلك كله رحمته التي أحق بها أهل الإيمان والتوحيد.

وهذا بخلاف الشرك فإن المشرك قد سَدّ على نفسه أبواب المغفرة، وأغلق دونه أبواب الرحمة، فلا تنفعه الطاعات من دون التوحيد، ولا تفيده المصائب شيئا، وما لهم يوم القيامة {مِنْ شَافِعِينَ * وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ} ؛ ولهذا قال تعالى {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا} أي افترى جرما كبيرا وأي ظلم أعظم ممن سوّى المخلوق من تراب ، الناقص من جميع الوجوه ، الفقير بذاته من كل وجه ، الذي لا يملك لنفسه– فضلا عمن عبده –نفعًا ولا ضرًّا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا– بالخالق لكل شيء ، الكامل من جميع الوجوه ، الغني بذاته عن جميع مخلوقاته ، الذي بيده النفع والضر والعطاء والمنع ، الذي ما من نعمة بالمخلوقين إلا فمنه تعالى ، فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟!

ولهذا حتم على صاحبه بالخلود بالعذاب وحرمان الثواب {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ} **وهذه الآية الكريمة في حق غير التائب** وأما التائب فإنه يغفر له الشرك فما دونه كما قال تعالى {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا} أي لمن تاب إليه وأناب.

قوله: «أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً» فدلّ هذا: على أن من سَلِم من الشرك الأكبر والأصغر فإنه يسلم من العذاب، وهذا إذا جَمعته مع النصوص الأخرى التي جاءت بالوعيد على العُصاة والفسقة، فإنك تقول: العُصاة من الموحّدين الذين لم يشركوا بالله شيئاً، ولكن عندهم ذنوب دون الشرك من سرقة، أو زنا، أو شرب خمر، أو غيبة، أو نميمة أو، إلى آخره، فهذه ذنوب يستحق أصحابها العذاب، ولكن هي تحت مشيئة الله إن شاء الله غفر لهم من دون عذاب وأدخلهم الجنة، وإن شاء عذبهم بقدر ذنوبهم، ثم يخرجهم بتوحيدهم، ويدخلهم الجنة، فالموحّدون مآلهم إلى الجنة، إما ابتداءً وإما انتهاءً، وقد جاء في الأحاديث أنه يُخرج من النار من في قلبه أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان، ويُخرج من النار أُناس كالفحم، قد امتحشوا، ثم يُنبت الله أجسامهم بأن يُلقوا في نهر على باب الجنة، يُقال له نهر الحياة، فتنبت أجسامهم، ثم يدخلون الجنة، ويُخَلَّدون فيها، فأهل التّوحيد مآلهم إلى الجنة، حتى ولو عذبوا في النار فإنهم لا يخلدون فيها وذلك بسبب التّوحيد.

أما الكفار والمشركون والمنافقون النفاق الأكبر، فهؤلاء مآلهم النار خالدين مخلَّدين فيها، لا يدخلون الجنة أبداً ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأعراف].

فقوله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-: « أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً» هذا وعد من الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ-؛ إن شاء غفر هذه الذنوب، وإن شاء عذب أصحابها، ثم يدخلهم الجنة بعد ذلك، وقد يخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين، وقد يخرجهم برحمته -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ-، فحتى ولو عذَّبوا مآلهم إلى الجنة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء].

فالتّوحيد يَعصم من الخلود في النار، وإذا كان التّوحيد كاملاً فإنه يَعصم من دخول النار أصلاً، وإذا كان ناقصاً فإنه يَعصم من الخلود فيها، ولا يعصم من الدخول فيها، وإنما

يَعصم من الخلود فيها، كما قال- تعالى- لما ذكر مناظرة إبراهيم الخليل -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- مع عَبَدَة الأصنام قال: ﴿ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ ﴾ ، المؤمنون أو المشركون ، فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ [الأنعام] .

قال الله-عَزَّوَجَلَّ-: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام].

هؤلاء هم أهل التّوحيد، ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ يعني: بشرك، ولهذا لما نزلت هذه الآية شقَّتْ على الصحابة وقالوا: " لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ {لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} [الأنعام: 82] بِشِرْكٍ، أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ "[1] ، فالمراد بالظلم هنا: الشرك، فالذين سلِموا من الشرك لهم الأمن، إما الأمن المطلق، وإما مطلق الأمن، والأمن المطلق هو الذي ليس معه عذاب، وأما مطلق الأمن فهذا الذي قد يكون معه شيء من العذاب على حسب الذنوب.

فالحاصل: أن أهل التّوحيد لهم الأمن بلا شك، ولكن قد يكون أمناً مطلقاً، وقد يكون مطلق أمنٍ، هذا هو الجواب الصحيح عن هذه المسألة.

بخلاف مذهب الخوارج والمعتزلة،

الفرق بين عقيدة أهل السنة والجماعة وعقيدة المعتزلة في مرتكب الكبيرة:

أسلفنا لكم ذكر عقيدة أهل السنة والجماعة في مرتكب الكبيرة وأنه تحت المشيئة ،**أما المعتزلة** فعندهم أن أصحاب الكبائر مخلّدون في النار والعياذ بالله، من هذا المذهب الباطل، فعندهم أنّه متى دخل النار لا يخرج منها بزعمهم، ويغالطون النصوص الصحيحة من الكتاب والسنة التي تدل على أن أهل التّوحيد ولو كان عندهم ذنوب ومعاص فإنهم لا يخلدون في

---

[1] - صحيح البخاري 4/ 141

النار، قال الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ-: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: 32].

يعني: هذه الأمة، والمراد بالكتاب: القرآن، ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ [فاطر: 32-33].

انظروا كيف ذكر الظالم لنفسه مع المقتصد ومع السابق بالخيرات، ووعدهم جميعاً بالجنة: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فاطر: 32-35].

ذكر منهم الظالم لنفسه- بل بدأ به-؛ مما يدل على أن أهل التّوحيد يرجى لهم الخير، ويرجى لهم دخول الجنة، ولو كان عندهم ذنوب كبائر دون الشرك.

ولما قال النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-: « حق العباد على الله: أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً» استبشر معاذٌ - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- بهذا الحديث الشريف، وفرح به غاية الفرح، وقال: يا رسول الله ألا أبشر الناس؟، قال النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-: « لا تبشرهم فيَتّكِلُوا»، يعني: أن النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- خشي إذا سمعه الناس فإنهم يتّكِلون على جانب الرجاء ويتساهلون في المعاصي، ويقولون: ما دمنا موحّدين فالمعاصي لا تضرنا، لأن الرسول يقول: « أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً»، ونحن والحمد لله لسنا مشركين، ونحن لا نعبد إلاَّ الله، فيتساهلون في المعاصي، فيغلِّبون جانب الرجاء على جانب الخوف، فهذا من الحكمة؛ أن العلم لا يوضع إلاَّ في مواضعه، فإذا خيف من إلقاء المسائل على بعض الناس محذور أكبر، فإنهم تُكتم عنهم بعض المسائل من أجل الشفقة بهم، ورحمتهم من الوقوع في المحذور، فإن

النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أمر بكتمان هذا النوع من العلم عن عامة الناس، وأخبر به معاذاً، لأن معاذاً من الجهابذة، ومن خواص العلماء، فدلَّ على أنه يجوز كتمان العلم للمصلحة، إذا كان يترتب على إيضاح بعض المسائل للناس محذور: بأن يفهموا خطأً، أو يَتَّكِلوا على ما سمعوا، فإنهم لا يُخبَرون بذلك، وإنما تلقى هذه المسائل على خواص العلماء الذين لا يُخشى منهم الوقوع في المحذور، فأخذ العلماء من هذا الحديث جواز كتمان العلم للمصلحة، وإنما أخبر معاذ - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- بهذا الحديث عند وفاته، خشية أن يموت وعنده شيء من الأحاديث لم يبلِّغه للناس، كما في حديث علي - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-: «حَدِّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ، اللهُ وَرَسُولُهُ»[1] ، يعني: لا يُلقى على كل الناس بعض المسائل التي فيها أمور يَخفى عليهم معناها، أو تشوِّش عليهم، وإنما يُلقى على الناس ما يفهمونه، ويستفيدون منه، أما نوادر المسائل، وخواص المسائل، فهذه تلقى على طلبة العلم، والمتفقهين المتمكِّنين، وهذا من الحكمة ووضع الشيء في موضعه، لمّا تكون أمام عُصاة يشربون الخمور، ويزنون، ويسرقون، وتقول: الله غفور رحيم، الله قريب مجيب، الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-يغفر ويسمح، فيزيدون في الشرور، لكن حين تقول لهم: اتقوا الله، الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-توعّد الزناة بالعذاب وتوعّد على السرقة، وعلى المعاصي بالعذاب الشديد، فتذكر لهم نصوص الوعيد، من أجل التوبة، ولو أتيت عند متمسِّكين وطيبين فذكرت لهم آيات الوعيد، فهذا ربما يزيدهم وسواساً، أو تشدّداً، فأنت تذكر لهم آيات التيسير، وأحاديث التيسير، والتسهيل، والرحمة، الفرج، إلى غير ذلك، من أجل أن لا يزيدوا ويشتدوا ويغلوا، فكل مقام له مقال، وتوضع الأمور في مواضعها، هذا هو الميزان الصحيح، والناس ليسوا على حد سواء، كل يخاطب بما يستفيد منه ولا يتضرر به، فلا تأتي بآيات الوعد والرجاء عند المتساهلين، ولا تأتي بآيات الوعيد عند

---

[1] - صحيح البخاري 1/ 37

المتشدّدين، بل تكون كالطبيب تضع الدواء في موضعه المناسب، هكذا يكون طالب العلم، إذا كانت هناك أمور غامضة،

لا يعرفها العوام، ولا تتسع لها عقولهم، من المسائل العلمية، فلا تُلقى على العوام، وإنما تُلقى على طلبة العلم، وعلى الناس الذين يستوعبونها، ولهذا يقول ابن مسعود: « ما أنت بمحدث قوماً بحديث لا تبلغه عقولهم إلاَّ كان لبعضهم فتنة»، وقال علي - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ-: «حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله».

فالحاصل؛ أن طالب العلم والواعظ والمعلم يجب عليه أن يراعي أحوال الحاضرين وأحوال الناس، ويعطيهم ما يحتاجون إليه من المسائل، ولا يُلقي عليهم المسائل الغريبة التي لم يتوصلوا إليها، فلو أتيت عند طلبة علم مبتدئين، فلا تلق عليهم غرائب المسائل التي لا يعرفها إلاَّ الراسخون في العلم، بل تعلمهم مبادئ مبسطة سهلة يتدرّجون بها شيئاً فشيئاً.

۞۞۞۞۞۞

أسئلة تقويمية

1- ما الحكمة من خلق الجن والإنس دلل على ما تقول؟

2- الأعمال لا تصح إلا بشرطين اثنين اذكرهما مع الدليل؟

3- هل يجوز كتمان العلم للمصلحة؟ وما الدليل على ذلك؟

4- ما الدليل على أن من وحد الله ولم يشرك به شيئاً دخل الجنة؟

5- ما معنى قوله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:« حق الله على العباد، وحق العباد على الله» ؟



فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢ ﴾ [الأنعام].

عن عبادة بن الصامت - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ» أخرجاه[1]. ولهما في حديث عتبان: " فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ " [2] .

وعن أبي سعيد الخدري- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: « قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا رَبِّ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ بِهِ وَأَدْعُوكَ بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَى قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: يَا رَبِّ كُلُّ عِبَادِكَ، يَقُولُ هَذَا، قَالَ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ يَا رَبُّ، إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئًا تَخُصُّنِي بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَى لَوْ كَانَ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ، وَعَامِرُهُنَّ غَيْرِي، وَالْأَرَضِينَ السَّبْعُ فِي كِفَّةٍ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ». [رواه ابن حبان والحاكم[3] وصححه].

---

[1] البخاري: أحاديث الأنبياء 3435 ، وأحمد 313/5 .

[2] البخاري: الصلاة 425 ، ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة 33 .

[3] صحيح ابن حبان برقم 6185 وصححه الألباني في التعليقات الحسان 9/ 54.

وللترمذي وحسنه عن أنس: سمعت رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: « يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»[1] .

الشرح

قال الله- تعالى- مبينا فضل التوحيد وأنه سببٌ في حصول الأمن في الدنيا والآخرة :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام].

وهذه الآية جاءت بعد ذكر مناظرة إبراهيم الخليل -عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ- لقومه، لأن قومه كانوا يعبدون الكواكب، وهم الصابئة، في أرض العراق، فالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- بعث نبيّه ورسوله إبراهيم الخليل -عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ- للدعوة إلى التّوحيد، وإنكار هذا الشرك، ولم يكن هناك مسلم وقت بعثته -عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ-، كلهم على الوثنيّة- والعياذ بالله-، الشاهد أن الله قال: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام].

هذا هو الحكم الإلهي، ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ، وهذا عام في قوم إبراهيم، وغيرهم من الخلق، يعني: الذين وحّدوا الله، وأخلصوا له العبادة، ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ المراد بالظلم هنا: الشرك، لأن الظلم- كما بيّن العلماء- ثلاثة أنواع:

النوع الأول: وهو أعظمها-: ظلم الشرك، قال- تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان].

[1] الترمذي: الدعوات 3540 .

لماذا سُمي الشرك ظلماً؟ لأن الظلم في الأصل: وضع الشيء في غير موضعه، والشرك معناه: وضع العبادة في غير موضعها، وهذا أعظم الظلم، لأنهم لما وضعوا العبادة في غير موضعها، أعطوها لغير مستحقها، وسوَّوْا المخلوق بالخالق، سووا الضعيف بالقوي الذي لا يُعجزه شيء، وهل بعد هذا ظلم؟

والنوع الثاني: ظلم العبد نفسه بالمعاصي، فالعاصي إنما ظلم نفسه، لأنه عرّض نفسه للعقوبة، وكان الواجب عليه أن يُنقذ نفسه، وأن يضعها في موضعها اللائق بها، وهو الطاعة، والكرامة ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الزمر].

النوع الثالث: ظلم العبد للناس: بأخذ أموالهم، أو غيبتهم، أو نميمتهم، أو سرقة أموالهم، أو التعدي عليهم في أعراضهم بالغيبة والنميمة والقذف والهمز واللمز وغير ذلك من التنقُّص، أو في دمائهم بقتل الأبرياء بغير حق، أو بالضرب والجرح والإهانة بغير حق، فهذا تعدٍّ على الناس.

هذه هي أنواع الظلم: ظلم الشرك؛ وهذا أعظم أنواعه، وظلم العبد نفسه، وظلم العبد لغيره من المخلوقين.

أما النوع الأول وهو: ظلم الشرك، فهذا لا يغفره الله أبداً إلاَّ بالتوبة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: 48].

وأما النوع الثالث وهو: ظلم العبد للناس، فهذا لا يترك الله منه شيئاً، لابد من القصاص، إلاَّ أن يسمح المظلومون.

أما النوع الثاني وهو: ظلم العبد لنفسه بما دون الشرك فهذا تحت مشيئة الله، إن شاء الله غفره، وإن شاء عُذِّب به، كما يقول أهل العلم:

الدواوين ثلاثة: ديوان لا يغفره الله، وهو الشرك.

وديوان لا يترك الله منه شيئاً، وهو مظالم العباد.

وديوان تحت المشيئة إن شاء الله غفر لصاحبه، وإن شاء عذبه، وهو الذنوب والمعاصي التي دون الشرك.

فهذا معنى قوله: ﴿ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ يعني: بشرك، هذا هو الذي فسَّرها به رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ-، فإنها لما نزلت هذه الآية شقت على الصحابة، قالوا: يا رسول الله أيُّنا لم يظلم نفسه؟، قال رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ-: " لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ {لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} [الأنعام: 82] بِشِرْكٍ، أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ "[1] ، وقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ ﴾ [الأنعام: 82]. هل المراد في: الأمن المطلق يعني: أنهم لا يعذبون أبداً، أو المراد مطلق الأمن أي أنهم وإن عذبوا فلابد أن يدخلوا الجنة؟، الآية محتملة، وعلى كلا التفسيرين فالآية تدلُّ على فضل التّوحيد، وأنه أمن من العذاب إما مطلقاً وإما يُؤَمّن من العذاب المؤبّد، فالآية فيها فضل التّوحيد، وأنه يمنح الله لأصحابه الأمن على حسب درجاتهم في التّوحيد والسلامة من الذنوب والمعاصي،

ودلّت الآية بمفهومها: على أن من أشرك بالله وخلط توحيده بشرك أنه ليس له أمن والعياذ بالله، فهذا فيه خطر الشرك، وأن من عبد الله، ولكنه يدعو مع الله غيره، ويستغيث بالموتى، ويذبح للقبور، ويطوف بالأضرحة مستعيناً بها، فهذا خلط إيمانه بشرك، وليس له أمن أبداً حتى يتوب إلى الله -عَزَّوَجَلَّ-، ويُخلص التّوحيد، فليس المقصود أن الإنسان يعبد الله فقط، بل لابد- أيضاً- أن يتجنّب الشرك، وإلاَّ فالمشركون لهم عبادات، كانوا يحجون، وكانوا يتصدقون، وكانوا يطعمون الأضياف، وكانوا يُكرمون الجيران، ولهم أعمال لكنها ليست

---

[1] صحيح البخاري 4/ 141

مبنيّة على التّوحيد، فهي هباء منثور، لا تنفعهم شيئاً يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان]. ، ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ ﴾ [النور: 39].

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ [إبراهيم: 18].

لا يُثبّت الأعمال إلاَّ التّوحيد، ما دام هناك شرك فالأعمال لا قيمة لها، مهما أتعب الإنسان نفسه فيها، وهذا يدلُّنا على فضل التّوحيد، ومكانة التّوحيد، وأنه مُؤَمّن من عذاب الله -عَزَّوَجَلَّ- بخلاف المشرك فإنه لا أمن له من عذاب الله، والأمن يكون في الدنيا، كالأمن من الأعداء، والأمن من الحروب، تعرفون قيمته، وخطر الخوف، هذا في الدنيا فكيف بالأمن في الآخرة من النار؟، النار أشد من الحروب، وأشد من الأعداء، وأشد من كل شيء، إذا كان الأمن في الدنيا هذه قيمته، وهذه منافعه، فكيف بالأمن في الآخرة.

ثم قال: ﴿ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: 82]. هذه مزيّة ثانية من مزايا التّوحيد، وهي حصول الهداية للموحّدين المخلصين لله، أنهم في الدنيا يكونون مهتدين في أعمالهم، يعبدون الله على بصيرة، سالمين من الشرك في الأعمال، وسالمين من البدع والخرافات، بخلاف أهل الشرك، فإنهم غير مهتدين في الدنيا، بل هم ضالون، لأنهم يعبدون الله، ويخلطون العبادة بالشرك، ويعبدون غير الله، فهم ضالون لا مهتدون.

إذاً الموحّد يعطيه الله مزيتين:

المزيّة الأولى: الأمن من العذاب.

المزيّة الثانية: الهداية من الضلال.

بحيث أنه يعبد الله على بصيرة وعلى نور وبرهان، متبعاً للسنّة متبعاً للرسول -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- يمشي على الجادة الصحيحة، بخلاف المشرك فإنه يمشي على غير هدى،

وعلى غير دين، وعلى غير برهان، يتعب نفسه في هذه الدنيا، وهو يتقدم إلى النار، ويمشي إلى النار، كما قال- تعالى- في الآية الأخرى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ ﴾[طه].

لا يضل في الدنيا عن الحق، ولا يشقى في الآخرة، وهذا ضمان من الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لمن اتبع القرآن أنه لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة.

قوله في حديث عبادة بن الصامت - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: « من شهد أن لا إله إلاَّ الله»، يعني: نطق بالشهادة عارفاً لمعناها، عاملاً بمقتضاها، موقناً بها، لأنه لا يكفي التلفظ، بالشهادة من غير معرفة لمعناها، كذلك النطق بالشهادة مع معرفة بمعناها، لكن لا يعمل بمقتضاها، هذا -أيضاً- لا يكفي، بل لابد من النطق والعلم والعمل بمقتضى هذه الكلمة العظيمة، فليست هي مجرد لفظ يردَّدُ على اللسان من غير فهم لمعناها، ولا يكفي العلم بمعناها، بل لابد من العمل بمقتضاها، بأن يُفرد الله بالعبادة، ويترك عبادة ما سواه، فهذه الكلمة العظيمة، لابد أن يتوفّر فيها:

أولاً: النطق بها.

وثانياً: العلم بمعناها.

وثالثاً: العمل بمقتضاها.

معنى لا إله إلا الله وشروطها

ومعنى: {لا إله إلاَّ الله} نفي العبادة عما سوى الله، وإثباتها لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، يعني: إبطال عبادة كل ما سوى الله، وإثبات العبادة لله، فقوله: {لاَ إله}: هذا إبطال لجميع المعبودات من دون الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وإنكار لها {إلاَّ اللهَ}: هذا إثبات للعبادة لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فعلى هذا معنى لا إله إلاَّ الله: لا معبود بحق- أو لا معبود حقاً- إلاَّ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، أما لو قلتَ: معناها: لا معبود إلاَّ الله، نقول: هذا ضلال عظيم، لأنك أدخلت كل

المعبودات وجعلتها هي الله، جعلت الأصنام والأضرحة والكواكب وكل ما عُبد من دون الله هو الله، وهذا غلط، وهو مذهب أهل وحدة الوجود. فلابد أن تأتي بكلمة حق، لأن المعبودات على قسمين: معبود بحق، ومعبود بالباطل، المعبود بحق هو الله، والمعبود بالباطل هو ما سوى الله من كل المعبودات، قال- تعالى-:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴾ [لقمان].، هذا معنى: لا إله إلاَّ الله.

وقوله: « وحده لا شريك له» كلمتان جيء بهما للتأكيد، وحده: تأكيد للإثبات، لا شريك له: تأكيد للنّفي، فهما كلمتان مؤكّدتان لـ(لا إله إلاَّ الله)، لما فيها من النفي والإثبات.

وهذه الكلمة كلمة عظيمة، جاءت في القرآن بلفظها وجاءت بمعناها، كما في قوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: 19].

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الصافات: 35-36].

وجاءت بمعناها مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الزخرف].

فقوله: ﴿ إِنَّنِى بَرَآءٌ ﴾ هذا هو معنى النّفي: لا إله، ﴿ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ هذا هو معنى الإثبات: إلاَّ الله، فهي كلمة عظيمة.

وقوله: « وأن محمداً عبده ورسوله» هذا يدل على أنه لا يكفيه شهادة أن لا إله إلاَّ الله، بل لابد معها من شهادة أن محمداً رسول الله، فلو شهد أن لا إله إلاَّ الله، وأبى أن يشهد أن محمداً رسول الله؛ لم يدخل في الإسلام، لأن هذه قرينة هذه، وكما في الأذان، وفي الإقامة، وفي الخطب، وإذا جاءت لا إله إلاَّ الله وحدها، تدخل فيها شهادة أن محمداً رسول الله ضِمناً.

شروط لا إله إلا الله :

وأما شروط (لا إله إلا الله) فهي:

1. العلم المنافي للجهل.
2. اليقين المنافي للشك.
3. الإخلاص المنافي للشرك.
4. الصدق المنافي للكذب.
5. المحبة المنافية للبغض.
6. الانقياد المنافي للشرك.
7. القبول المنافي للرد.
8. الكفر بما يعبد من دون الله.

وقوله: « وأن محمداً عبده ورسوله» هذا نفي للإفراط والتفريط، عبده هذا نفي للإفراط والغلو في حق الرسول -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بجعل شيء له من الربوبية، كما يعتقد المخرِّفون، فالرسول -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عبدٌ ليس له من الرُّبوبية شيء، وقد سمَّاه الله عبداً في أشرف المقامات، في مقام الوحي: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ [البقرة: 23].

وفي مقـــــام الإسراء: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ [الإسراء: 1].

وفي مقام الإنزال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [الكهف: 1].

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ [الفرقان].

وفي مقام التحدي: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ فهو عبد لا يُعبد -عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ-، ورسول لا يُكذّب -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بل يُطاع ويُتبع، فليس له من العبادة شيء، فالذين يطلبون منه المدد، ويطلبون منه النصر على الأعداء، ويطلبون منه قضاء

الحاجات، وتفريج الكُرُبات، هؤلاء رفعوه من العبودية إلى الألوهية- والعياذ بالله-، ما أقرُّوا أنه عبد الله، بل جعلوه شريكاً لله في ربوبيّته وإلهيّته، والرسول -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- يقول: «لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ، وَرَسُولُهُ» [1]، يقول الله -سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ- له: ﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٢٨ ﴾ [آل عمران].

ويقول -سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ-: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨ ﴾ [الأعراف].

ويقول -سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ-: ﴿ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ٢١ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ٢٢ إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ [الجن: 21-23].

وقوله: « ورسوله» هذا ردٌّ على أهل التفريط، الذين لا يقدِّرون الرسول حق قدره، إما يجحدون رسالته --عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ-، وإما أنهم يقرُّون برسالته، لكنهم لا يتبعونه الإتباع المطلوب، فهؤلاء لم يشهدوا أنه رسول الله، وشهادتهم إما باطلة وإما ناقصة، باطلة إن كانوا لا يتبعونه أبداً، وناقصة إن كانوا يتبعونه في بعض الأشياء ويخالفونه في بعض الأشياء رغبة لنفوسهم وشهواتهم.

أقوال اليهود والنصارى في عيسى عليه الصلاة والسلام والرد عليهم:

وقوله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ-: « وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه» عيسى -عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ- هو عيسى بن مريم، خلقه الله من أم بلا والد، وذلك ليُظهر

[1] صحيح البخاري 4/ 167

للعباد قدرته -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ-على كل شيء، فقوله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-: « وأن عيسى عبد الله ورسوله» هذا فيه ردٌّ على اليهود وردٌّ على النصارى.

أما اليهود ؛ فلأنهم جحدوا رسالة عيسى -عَلَيْهِٱلسَّلَامُ- ، ورموه بالبُهْت- والعياذ بالله- وقالوا: إنه ولد بغي، قبّحهم الله وأخزاهم، وحاولوا قتله، وسلّمه الله منهم ورفعه إليه، وألقى عليهم الخزي.

وفيه ردٌّ على النصارى: الذين لم يقرّوا بأن عيسى عبد الله، وإنما ادعوا أنه ابن الله، أو أنه ثالث ثلاثة، أو أنه هو الله، ثلاث مقالات لهم، ذكرها الله جل وعلا في القرآن: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: 17].

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: 73].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ [التوبة: 30].

ولا يزالون يقولون هذا إلى الآن في إذاعتهم يرددون هذه الأقوال الكفرية الشنيعة، ولا يزالون يقولون: إن عيسى هو ابن الله، وأنه مخلِّص، ويرددون عقائد النصارى السابقة، المهم أنهم لا يزالون على هذه الفِرية: أن عيسى ابن الله، تعالى الله عما يقولون، وأنه الإله المخلِّص، وأنه مَكَّن من نفسه للقتل، وقتلوه وصلبوه من أجل أن يخلِّص العباد من الخطيئة التي ارتكبها آدم -عَلَيْهِٱلسَّلَامُ- ، كما يقولون، قبْحهم الله، فيسمونه المخلِّص ويسمون هذا العمل الفداء، وأن عيسى فعل هذا من باب الفداء لبني آدم، ليخلِّصهم من إثم العقوبة.

وقوله: « وكلمته ألقاها إلى مريم»، الكلمة قوله تعالى لعيسى: {كُن}، لأن عيسى وُجد من غير أب، بل وُجد بكلمة {كُن} وليس هو الكلمة، وإنما سُمِّيَ بالكلمة لأنه خُلق بها،

بخلاف بقية البشر- فإنهم يُخلقون من أب وأم، وكما قال في آدم: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ﴾ [آل عمران].

فإذا كنتم تعجبون من كون عيسى وُلد من أم بلا أب، ووجد على أثر الكلمة {كُن} فكيف لا تعجبون من خلق آدم من تراب بدون أم ولا أب، بل بكلمة {كُن}، ليس في هذا غرابة على قدرة الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-.

وقوله: « وروح منه» ليس المراد أن عيسى روح من الله، بمعنى أنه من ذات الله، وإنما من روحه المخلوق؛ لأن الله خلق الأرواح جميعاً، ومنها روح عيسى-عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ-، فكلمة «منه» لابتداء الغاية، يعني كلمة مبتدأة من الله، وروح مبتدأة من الله، كما تقول مثلاً هذا الرزق من الله، معناه أن الله هو الذي يسّر هذا الشيء، وهو الذي هيّأه وخلقه، قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: 13].

معناه: أنه حاصل ونازل وكائن من الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-، فـ «مِنْ» لابتداء الغاية، وقد تسأل وتقول كل أرواح بني آدم من الله على هذا التفسير، فما وجه اختصاص عيسى بذلك نقول: نعم كل أرواح بني آدم من الله، لكن عيسى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- خُصَّ بذلك لأنه من غير أب، بل هو روح من دون أب.

وقوله: « والجنة حق ، والنار حق» يعني: ومن شهد أن الجنة -وهي دار المتقين-، والنار- دار الكافرين- ؛ كل منهما حق، وأنهما داران موجودتان مخلوقتان، وباقيتان لا تفنيان أبداً، الجنة للمتقين، والنار للكافرين، فالدُّور ثلاث:

الأولى: دار الدنيا، وهي دار العمل والاكتساب والله جل وعلا يقول : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ الزلزلة: ٧ - ٨

والثانية: دار البرزخ، وهي دار القبور، برزخ بين الدنيا والآخرة، والبرزخ معناه الفاصل، والحياة في القبور، تسمى بالحياة البرزخيّة، وفيها عجائب، فيها نعيم أو عذاب، إما حفرة من حفر النار، أو روضة من رياض الجنة، ويبقى الأموات في قبورهم إلى أن يشاء الله جل وعلا بَعْثَهُم وحَشْرَهُم للحساب والجزاء، وهذه الدار، مَحَطَّة انتظار.

قال الله تعالى في فرعون وقومه: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦ ﴾ غافر: ٤٦.

والثالثة: دار الجزاء، التي هي يوم القيامة، الجنة أو النار، ﴿ يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ١٠٥ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ١٠٦ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٠٧ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ١٠٨ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبۡلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ غَيۡرَ مَنقُوصٖ ١٠٩ ﴾ هود: ١٠٥ - ١٠٩

وهذه الدار لا تفنى ولا تبيد أبداً، وإذا آمن الإنسان بهاتين الدارين، فإن ذلك يحمله على العمل الصالح والتوبة من الذنوب والسيئات، فإذا تيقّن أن هناك جنة، وأن هذه الجنة لا يدخلها إلاّ بالأعمال الصالحة، فإنه يعمل، وإذا تيقن أن هناك ناراً، وأنه يدخلها بالمعاصي والكفر والسيئات، فإنه يحذر من ذلك ويتوب إلى الله -عَزَّوَجَلَّ-، فالإيمان باليوم الآخر والجنة والنار يحمل العبد على العمل الصالح والتوبة من الذنوب والسيئات، أما الذي لا يؤمن بالآخرة، فهذا يعمل ما تُمليه عليه شهواته، وما ترغبه نفسه ولا يحاسب نفسه أبداً، لأنه لا يؤمن ببعث ولا بحساب، تعالى الله عما يقوله الظالمون والكافرون علواً كبيراً، ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ٢٤ ﴾ [الجاثية].

ينكـرون البعـث، ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [المؤمنون].

هكذا يقولون، لأن الكفار الذين بعث فيهم رسول الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- ينكرون البعث والنشور، ومثلهم الملاحدة والدهريون الذين لا يؤمنون برب ولا ببعث ولا بحساب، ومثلهم الفلاسفة الذين يقولون: « إن هذه الأمور إنما هي من باب التخييلات من أجل مصالح الناس» ، فالرسل أو الأنبياء يقولون: هذه الأشياء من باب التخييلات من أجل مصالح الناس؟ ، وإلاَّ ليس هناك جنة، وليس هناك نار، وليس هناك بعث، وإنما يخيِّلون هذه الأشياء، من باب الكذب للمصلحة، من أجل أن الناس يستقيمون، ويتركون الأعمال الدنيئة، ويعملون الأعمال الطيبة، وإن لم يكن هناك حقيقة للجنة والنار.

وهؤلاء يسمّون (المخيّلة)، وهم فئة من الفلاسفة؛ ومن الطوائف الباطنية من ينكر الجنة والنار، ويقولون: هما عبارة عن رموز فقط، وليس هناك حقائق، فالكَفَرَة على اختلاف أصنافهم: من مشركيّة، ودهريّة، وفلاسفة، وباطنية، كلهم لا يؤمنون باليوم الآخر، ولهذا توعد الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ- هؤلاء بقوله: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [المؤمنون]. يعني: لو كان ليس هناك بعث ولا حساب، صار خلق الله لهذه المخلوقات في باب العبث، لأنها لا تؤدِّي إلى غاية ولا نتيجة، فالظالم يظلم في هذه الدنيا، والقاتل يقتل، والعاصي يعصي، والمطيع يُتعبُ نفسه بالطاعة والعبادة ولا يلقى جزاء- تعالى الله عما يقولون، أما إذا كان هناك بعث ونشور وجزاء على الأعمال. المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، كان خلق الخلق إذاً لحكمة وغاية، وليس عبثاً، فهناك من الظَلَمة من يموت وهو ما جوزي في هذه الدنيا، وهناك من الصالحين من يموت وهو فقير مريض، لماذا؟ لأن الجزاء في الآخرة، هؤلاء ينتظرهم جزاؤهم في الآخرة. هذا الكافر، وهذا الظالم، وهذا الطاغية، وهذا الجبّار، ينتظرهم جزاؤهم في الآخرة، وهذا المؤمن التقي الصالح الذي مات بالمرض والفقر

هذا ينتظره جزاؤه في الآخرة في الجنّة، لأن الله ما خلق الخلق وأجرى هذه الأمور عبثاً، لابد لها من نتيجة، ولابد لها من غاية تنتهي إليها: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [المؤمنون].

﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾ [القيامة] ، يعني: لا يُؤمر، ولا يُنهى، ولا يُبعث، ولا يُجازى، يأكل ويشرب ويمكر ويفسق وينتهي أمره إلى لا شيء؟، أو يتقي ويطيع ويتعب نفسه بالعبادة وينتهي أمره إلى لا شيء؟، فهذا وجه النص على الإيمان بالجنة والنار، لأن الإيمان بهما يحدو على العمل الصالح، والتوبة من العمل السيئ، ولأن البعث والحساب أنكره كثير من الطوائف الكافرة، فلابد من الإيمان به، والتصديق به، والإقرار به.

وقد ذكر في هذا الحديث البراءة من الملل الثلاث: « ملة اليهود؛ وملة النصارى، وملة المشركين» فهو حديث عظيم.

فقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « من شهد أن لا إله إلاَّ الله، وأن محمداً رسول الله» هذا فيه البراءة من دين المشركين.

وفي قوله: « وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم» هذا فيه البراءة من دين اليهود والنصارى، لأن اليهود كفروا بعيسى، والنصارى غلوا فيه، حتى جعلوه ربًّا، وأيضاً اليهود والنصارى كل منهم كفر بمحمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

والشاهد من هذا الحديث :

« في فضل التّوحيد وما يكفر من الذنوب » أن الرسول قال في آخره: « أدخله الله الجنة على ما كان من العمل» هذا وعد من الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لأهل التّوحيد بأن الله يدخلهم الجنة، وأهل التّوحيد هم: الذين شهدوا أن لا إله إلاَّ الله وأن محمداً رسول الله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، والنار حق، هؤلاء هم

أهل التّوحيد، وعدهم الله أن يدخلوا الجنة، فهذا فيه فضل التّوحيد، وأنه سبب لدخول الجنة.

لكن ما معنى: «على ما كان من العمل»؟، في ذلك قولان لأهل العلم:

القول الأول: أدخله الله على ما كان من العمل، يعني: ولو كان له سيئات دون الشرك فإن ذلك لا يحول بينه وبين دخول الجنة، إما من أول وَهْلَة، وإما في النهاية، ففيه: فضل التّوحيد، وأنه يكفر الذنوب بإذن الله أو يمنع من الخلود في النار.

والمعنى الثاني: أدخله الله الجنة على ما كان من العمل، أي: أنه يدخل الجنة، فتكون منزلته فيها بحسب عمله.

وفي هذا الحديث الرد على سائر الطوائف الكفريّة، ففيه ردٌّ على المشركين الوثنيين، وفيه ردٌّ على اليهود، وفيه ردٌّ على النصارى.

وفي الحديث -أيضاً-: وجوب الإيمان بجميع الرسل- عليهم الصلاة والسلام-، لأنه نص على الإيمان بعيسى وبمحمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وفي ذلك إشارة إلى أنه يجب الإيمان بجميع الرسل كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة].

فلابد من الإيمان بجميع الرسل - عليهم الصلاة والسلام-، ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بالجميع.

ولهما في حديث عتبان: " فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ " [1] .

[1] البخاري: الصلاة 425 ، ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة 33 .

ومعنى قوله: « حرّم على النار» التحريم: المنع، أي: منعه من دخول النار، أو منع النار أن تمسه.

«من قال: لا إله إلاَّ الله» أي: نطق بها بلسانه وأعلنها.

«يبتغي بذلك» أي: بقوله لها ونطقه بها.

«وجه الله» أي: مخلصاً له بها، لم يقلها رياءً ولا سمعةً ولا نفاقاً، بل يعتقد ما دلّت عليه من إفراد الله بالعبادة، وترك عبادة ما سواه، واعتقاد بطلانها، والبراءة منها ومن أهلها.

فدل هذا الحديث: على أنه لا يكفي مجرّد النطق بلا إله إلاَّ الله من غير معرفة لمعناها، وعمل بمقتضاها، واعتقاد لمدلولها.

وعن أبي سعيد الخدري- رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- عن رسول الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- قال: « قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا رَبِّ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ بِهِ وَأَدْعُوكَ بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَى قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: يَا رَبِّ كُلُّ عِبَادِكَ، يَقُولُ هَذَا، قَالَ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ يَا رَبُّ، إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئًا تُخُصُّنِي بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَى لَوْ كَانَ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ، وَعَامِرُهُنَّ غَيْرِي، وَالْأَرَضِينَ السَّبْعُ فِي كِفَّةٍ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ». [رواه ابن حبان والحاكم[1] وصححه].

«عن رسول الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- قال: قال موسى: يا رب، علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به» طلب من ربه أن يعلمه كلاماً يعظّمه به، ويطلب منه به حاجاته، ويتوسل به إليه.

«قل يا موسى: لا إله إلاَّ الله» أي: لا معبود بحق إلاَّ الله.

«قال» أي: موسى، «يا رب، كل عبادك يقولون هذا» أي: وإنما أريد شيئاً تخصني به من بين عموم عبادك.

[1] صحيح ابن حبان برقم 6185 وصححه الألباني في التعليقات الحسان 9/ 54.

«قال» أي: الرب -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ-مبيناً لموسى وغيره فضل هذه الكلمة على غيرها من ألفاظ الذكر، «لو أن السماوات السبع» أي: الطباق، «وعامرهن» أي: من فيهن من العمّار «غيري» أي: غير الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ-، لأنه -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ- في السماء. ففيه دليل على إثبات العلو «والأرضين السبع» أي: ومن فيهن من السكان. وفيه أن الأرض سبع طباق كالسماء، «في كِفَّة» أي: إحدى كفتي الميزان، «ولا إله إلاَّ الله في كفة» أي: في الكفة الأخرى، «مالت بهن لا إله إلاَّ الله» أي: رجحت بالسماوات السبع ومن فيهن غير الله، وبالأرضين السبع ومن فيهن، وذلك لما اشتملت عليه هذه الكلمة من نفي عبادة غير الله، وإثبات العبادة لله، وتقرير التّوحيد، وإبطال الشرك.

ففي هذا الحديث: فضل لا إله إلاَّ الله، وأنها أفضل الذكر، وأنه لابد من الإتيان بها كلها، وما فيها من النفي والإثبات، وأنه لا يكفي الإتيان بلفظ الجلالة (الله) أو لفظ (هو هو) كما يفعله من لا خلاق له. وفيه أن الذكر وغيره من أنواع العبادة توقيفي، لأن موسى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - طلب من ربه أن يعلمه شيئاً يذكره به، فيه أن لا إله إلاَّ الله ذكر ودعاء. وللترمذي - وحسنه- عن أنس: سمعت رسول الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- يقول:

«قال الله تعالى: يا ابن آدم، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً؛ لأتيتك بقرابها مغفرة».

«عن أنس: سمعت رسول الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- يقول: « قال الله تعالى: يا ابن آدم، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا» قراب الأرض- بضم القاف- : ملؤها أو ما يقاربه، «لأتيتك بقرابها مغفرة»».

فيه: أن مغفرة الذنوب مشروطة بتجنب الشرك، وفيه فضل التّوحيد، وفيه الرد على الخوارج الذين يكفّرون بالكبائر، وفيه سعة فضل الله ورحمته.

❁❁❁❁❁❁

أسئلة تقويمية

1- ذكر العلماء أن الظلم ثلاثة أنواع اذكرها.

2- الموحد يعطيه الله مزيتين اذكرهما.

3- ما معنى قوله: « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم»؟

4- ما معنى قوله: « على ما كان من العمل... » ؟

5- هل مغفرة الذنوب مشروطة بتجنب الشرك أم لا؟ وما الدليل؟



من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقـول الله تعـالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [النحل].

وقال: ﴿ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [المؤمنون].

عن حصين بن عبد الرحمن قال: « كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لدغت. قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت. قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي. قال: وما حدثكم؟ قلت حدثنا عن بريدة بن الخصيب أنه قال: « لا رقية إلا من عين أو حمة». قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال:

« عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ أُمَّتِي هَذِهِ؟ قِيلَ: بَلْ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، قِيلَ: انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ، فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلَأُ الأُفُقَ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ، فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلَأَ الأُفُقَ، قِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَيَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ هَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ " ثُمَّ دَخَلَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ، فَأَفَاضَ القَوْمُ، وَقَالُوا: نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ، فَنَحْنُ هُمْ، أَوْ أَوْلاَدُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلاَمِ، فَإِنَّا وُلِدْنَا فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ، فَقَالَ: «هُمُ

الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَلاَ يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» فَقَالَ عُكَاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا؟ قَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ» [1].

الشرح

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [النحل]. إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- هو إمام المحققين للتوحيد، بعثه الله -عَزَّ وَجَلَّ- لما غطّى الشرك على وجه الأرض في وقته، وهو وقت النَّمرود الكافر الملحد الذي ادعى الربوبية، وكان قومه يعبدون الكواكب، ويبنون لها الهياكل ويُسَمَّوْن بالصابئة، وهم في أرض بابل من العراق، ثم حصل بينه وبينهم مصادمة ذكرها الله تعالى في القرآن، انتهى بهجرة إبراهيم-عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-من أرض العراق إلى أرض الشام وإلى الحجاز، حيث جعل قسماً من ذريته في الشام وهم إسحاق وذرّيته، أولاد زوجه ي سارة، وذهب بإسماعيل بن سُرِّيته هاجر وأمه إلى مكة، أرض الحرم، بأمر الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الصافات].

أي: مهاجر من أرض الكفر والشرك إلى أرض التّوحيد بالشام والحجاز، تلك المواطن المباركة، التي صار فيها بيت المقدس، وفيها البيت العتيق أول بيت وُضع للناس، وهو الكعبة المشرفة بمكة، فأورثه الله هذه البلاد وهذه البيوت إكراماً له ولذريّته -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، عوّضه الله أرضاً خيراً من أرضه، وقد وصفه الله تعالى في هذه الآية بأربع صفات، كلها من تحقيق التّوحيد:

---

[1] رواه البخاري: الطب 5705 ، ومسلم: الإيمان 220 ، وأحمد 271/1 .

الصفة الأولى: ﴿ كَانَ أُمَّةً ﴾ ،

والأمة معناها: القدوة في الخير، فهو إمامٌ للناس، كما قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [البقرة: 124].

يعني: قدوة لأهل الخير إلى أن تقوم الساعة، فقوله أُمّة يعني: إماماً وقدوة،

إطلاقات الأمة في القرآن:

وللأمة ثلاثة إطلاقات في القرآن:

الإطلاق الأول : أُمَّة بمعنى قدوة، كما في الآية السابقة.

الإطلاق الثاني: الأمة بمعنى: مقدار من الزمان كما في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ [يوسف: 45].،أي: بعد زمن وبعد مدة.

الإطلاق الثالث: وتطلق الأمة ويراد بها الجماعة من الناس ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [الأنبياء: 92] ، يعني: جماعة، لأن دين الإسلام دين جماعة، لا دين تفرّق واختلاف، فليس فيه تفرّق وأحزاب، وجماعات وجمعيات متفرقة ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران] ، فالمطلوب من المسلمين أن يكونوا أمة واحدة، على منهج واحد، وعلى دين واحد، وعلى ملة واحدة، ولا يكون ذلك إلاَّ بعقيدة التّوحيد، أما التفرّق والاختلاف والتناحر والتهاجر والتباغض والتنابُذ بين الجماعات وبين الفرق فهذا ليس من دين الإسلام وهذا يكون مع فساد العقيدة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [الأنعام].

الصفة الثانية: لإبراهيم أنه: ﴿ قَانِتًا لِّلَّهِ ﴾ والقنوت في اللغة معناه: الثبوت والدّوام، أي: مداوماً وثابتاً على طاعة الله، لا يتزحزح عنها، ويُطلق القنوت على طول القيام في

الصلاة، قال تعالى: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ [البقرة].

، وقال الله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر].

فمعنى وصف إبراهيم بأنه كان قانتاً أي: أنه كان مداوماً على طاعة الله، ثابتاً عليها،وكذلك ﴿ قَانِتًا لِّلَّهِ ﴾ يعني: أنه يعمل هذا مخلصاً لله، لا يقصد به رياءً ولا سُمعة، ويؤخذ من هذا وجوب الإخلاص.

والإخلاص: أن الإنسان يقصد بعمله وجه

الله، ولا يقصد بذلك طمعاً من مطامع الدنيا، أو مدحاً، وثناءً من الخلق، ولا يستمع إلى لومهم إذا لاموه في طاعة الله، فلا يضره ما يقوله الناس، ولا تأخذه في الله لومة لائم.

الصفة الثالثة: ﴿ حَنِيفًا ﴾ والحنيف من الحَنَف وهو في اللغة: الميل، والمراد به هنا: الإقبال على الله، وأنه مُعرض عن الناس مُقبل على الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ، يطلب الخير أ من الله وحده.

الصفة الرابعة: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ وهذا محل الشاهد من الباب، ومعناه: أنه تبرّأ من المشركين، براءة تامة، أي: قطع ما بينه وبين المشركين من المودّة من أجل الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ، لأنهم أعداء الله، والمؤمن لا يحب أعداء الله، وأعداء الإسلام.

فهذه أربع صفات وصف الله بها إبراهيم: وهي:

الصفة الأولى: أنه كان أمة، يعني: قدوة في الخير.

الصفة الثانية: أنه كان قانتاً لله ثابتاً على الطاعة مخلصاً عمله لله.

الصفة الثالثة: أنه كان حنيفاً، مقبلاً على الله معرضاً عما سواه.

الصفة الرابعة: أنه لم يك من المشركين. أي بريء منهم ومن دينهم.

وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ۝٥٩ ﴾ [المؤمنون].

هذه صفة من الصفات التي ذكرها الله في سورة المؤمنون، في السابقين بالخيرات، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ۝٥٧ ﴾ [المؤمنون]. هذه الصفة الأولى.

الصفة الثانية: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ۝٥٨ ﴾ [المؤمنون].

الصفة الثالثة- وهي العظيمة-:﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ۝٥٩ ﴾ [المؤمنون].

الصفة الرابعة: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ ﴾ [المؤمنون].

هذه الصفات العظيمة هي تحقيق التّوحيد من جميع الشوائب.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ۝٥٩ ﴾ [المؤمنون]..

هذا هو تحقيق التّوحيد، لا يشركون أبداً، شركاً أصغر ولا شركاً أكبر، يعني: لا يقع منهم شرك أبداً، هؤلاء الذين حقّقوا التّوحيد، وسلموا من الشرك الأكبر والأصغر والخفي والجلي، وكل أنواع الشرك والبدع والمخالفات.

قوله: « وعن حصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير»

«عن حُصين بن عبد الرحمن» السُّلمي، أحد التابعين الثقات.

«قال: كنت عند سعيد بن جُبير» سعيد بن جُبير من أكابر التابعين علماً وورعاً وفقهاً، وهو من تلاميذ ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- قتله الحجّاج بن يوسف الثَّقفي قبل أن يبلغ الخمسين من عمره، وبقتله أُصيبت الأمة بفقد عالم من أجلِّ علمائها.

«فقال: أيُّكم رأى الكوكب الذي أنقض البارحة؟»، يسأل الجالسين عنده، والكوكب معناه: الشِّهاب الذي يُرمى به الشياطين الذين يَسْتَرِقُون السمع، وليس معناه أن الكوكب نفسه يسقط، ولكن ينفصل منه شَظِيَّة. «الذي انقض البارحة»، أي: الذي سقط.

قال: حُصين بن عبد الرحمن: « أنا»، والبارحة كلمة تُطلق على الليلة الماضية، ما قبل الزوال يقال له: الليلة، وما بعد الزوال يقال له: البارحة، مِن «بَرَح الشيء» إذا فات وذهب، هذا عند العرب.

وقوله: « قلت: أنا» يعني: أنا رأيت الكوكب، فدلّ هذا على أن هذا الرجل لم يَنَم.

ثم إنه خشي على نفسه من الرياء، فاستدرك وقال: « أما إني لم أكن في صلاة» يعني: لا تظنوا أني سهرت أتهجّد، خشِي على نفسه الرياء، أن يمدح بشيء ليس فيه، وهذا من ورع السّلف وابتعادهم عن الرياء وتزكية النفس، لأن هذا ينافي الإخلاص.

وقوله: « ولكني لُدِغْت» يعني: السبب في كوني كنت مستيقظاً وقت نزول الشهاب أنني لُدِغْت، واللَّدْغ معناه: إصابة ذات السموم من العقارب ونحوها.

وقوله: « قال: فما صنعت؟» لأن من عادة المَلْدُوغ أنه يتعاطى شيئاً من العلاج.

وقوله: (ارْتَقَيت) يعني: طلبت من يَرْقِينِي بالقرآن.

والرُّقية معناها: أن يُقرأ على المصاب بالمرض أو باللَّدْغ من القرآن والأدعية، ويُنْفَث على موضع الإصابة وموضع الألم.

وهذا من أنفع العلاج إذا صدر عن يقين من الرّاقي ويقين من المَرْقي، لأن الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَى-أنزل هذا القرآن شفاءً:

للأمراض المعنويّة: أمراض الشِّرك، والنفاق، والمعاصي.

والأمراض الحسيّة: أمراض الأجساد، لأنه كلام رب العالمين -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ-، قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء].

فالرُّقية مشروعة، وقد رَقَى النبي -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- ورُقي-عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ-، رَقَاه جبريل لما أصابه السحر، ورَقَى -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- بعض أصحابه، فالرُّقية بالكتاب والأدعية أمر مشروع.

قوله: « قال: فما حملك على هذا؟» هذا فيه أن السلف يطلبون الدليل على ما يفعلون وما يقولون، وفيه طلب الدليل على المذهب والاجتهاد. وهذا أدب السلف- رحمهم الله- أنهم لا يُقْدِمون على شيء إلاَّ بدليل من كتاب الله وسنّة رسوله -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- خصوصاً في أمور العلاج، لأن النفوس تتشبث بأي شيء لطلب الشفاء، حتى ولو كان غير مشروع. فسعيد بن جُبير - رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ- خَشِي من هذا الأمر. فهذا فيه أن العلاج لا يكون إلاَّ بما دل عليه دليل من كتاب الله وسنّة رسوله، أما الذهاب إلى المشعوذين والدجّالين والسَّحرة والكَذَبة فهو محرّم، وقد يكون شركاً أكبر يُخرج صاحبه من الملّة؛ إذا ذبح لغير الله، أو دعا غير الله، أو استغاث بالجن أو الشياطين، فإنه يخرج من الملّة، ولو فرضنا أنه شُفي، ماذا ينفعه إذا ذهبت عقيدته وصحّ جسمه، هذا أمر وباب خطير جدًّا، ويجب التحرُّز منه.

وقوله: « قلت: حديث حدثنيه الشَّعْبي» يعني: هذا دليلي على ما فعلت، والشعبي هو: عامر بن شرَاحيل الهمداني الكوفي، الإمام الجليل من أئمة التابعين.

«قال: وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بُريدة بن الحُصيب» بُريدة بن الحُصيب الأسلمي، من صحابة رسول الله -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ-، فهذا التابعي- الذي هو الشَّعْبي- يروي عن هذا الصحابي.

قوله: أن النبي -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- قال: « لا رُقية إلاَّ من عين أو حُمة» لا رُقية يعني: أنفع وأشفى إلاَّ من عين، أي: إصابة العين بسبب الحسد الذي يكون في بعض الناس، إذا نظر إلى الأشياء أصيبت على أثر نظرته، لأن نظره مسموم، وهذا من عجائب- خلق الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ-وقدرته، أنه يجعل بعض الأنظار مسمومة، إذا نظر صاحبها إلى شخص، أو إلى حيوان، أو إلى شيء، أصيب بإذن الله -عَزَّوَجَلَّ-، والعين حق- كما في الحديث، قال -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-: «الْعَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ »(1)

وقوله: « أو حُمَة» الحُمَة هي: اللَّدْغة من ذوات السّموم، وهذا محل الشاهد من الحديث لما فعله حصين -رَحِمَهُٱللَّهُ-.

ثم قوله: « لا رُقية إلاَّ من عين أو حُمَة» قال العلماء: هذا من باب التأكيد، لا من باب الحَصْر، فالرُّقية تنفع من غير العين والحُمَة أيضاً ومن سائر الأمراض، ولكن أنفع ما يُشفى بالرُّقية هذان المرضان: العين والحُمَة، وإلاّ فإن الرّقية تنفع - أيضاً- من جميع الأمراض- بإذن الله-.

ولما أتى حُصين بن عبد الرحمن بالدليل على ما فعل، قال له سعيد بن جبير -رَحِمَهُٱللَّهُ-: « قد أحسن من انتهى إلى ما سمع» أثنى عليه، وصوّبه على هذا الفعل، وأنه عَمِل عملاً جائزاً ومباحاً، واستدل بدليل صحيح عن النبي -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- ، فتأدّب سعيد مع الحديث ، وقال: « قد أحسن من انتهى إلى ما سمع»، هذا هو أدب العلماء، وهذا أدب الصحابة - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ-، والتابعين، وسائر أئمة العلماء، فهم يتأدّبون مع السنّة إذا بلغتهم عن رسول الله.

قوله: « ولكن حدثنا ابن عباس» معناه أن: سعيد بن جُبير عنده دليل آخر، العمل به أحسن من العمل بحديث حُصين بن عبد الرحمن، وإن كان العمل بحديث حُصين بن عبد

(1) صحيح مسلم 4/ 1719.

الرحمن حسناً، ولكن هناك حسن وهناك ما هو أحسن، فأراد أن يرقيه من الحسن إلى الأحسن.

قال: « حدثنا ابن عباس عن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: « عُرضت عليّ الأمم» فيه معجزة من معجزات النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حيث عُرضت عليه الأمم، أي: أُرِيَ الأمم السابقة. قيل: كان هذا ليلة الإسراء والمعراج.

«فرأيت النبي ومعه الرَّهْط» الرَّهْط: هم الجماعة دون العشرة، يعني: لم يتبعه من أمته إلاَّ دون العشرة، وبقية الأمة كفروا به.

«والنبي ومعه الرجل والرجلان» هذا أقل، تبعه من قومه رجل أو رجلان، والبقيّة أَبَوْا أن يؤمنوا بالله ورسوله.

«والنبي وليس معه أحد» فيه من الأنبياء من كذبه قومه كلهم، ولم يتبعه أحد، فهذا فيه دليل على أنه لا يُحتج بالكثرة، وإنما يُحتج بمن كان على الحق، ومعه الدليل، ولو كانوا قليلين، ولو كان شخصاً واحداً، فمن كان على الحق، ومعه دليل من كتاب الله وسنّة رسوله، فهذا هو الذي يُؤخذ بقوله ويُقتدى به، أما من خالف الدليل فلا عبرة به حتى ولو كانوا كثرة، والله تعالى يقول في نوح: ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٤٠ ﴾ [هود].

. ويقول: ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ۝١٠٣ ﴾ [يوسف].

ويقول جل وعلا: ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ۝١١٦ ﴾ [الأنعام].

فالكثرة ليست هي الضابط في إصابة الحق، ولا يُغتر بها، فربما تكون الكثرة على الباطل، إنما إذا اجتمع الكثرة مع إصابة الحق، فهذا طيّب، أما إذا كانت كثرة بدون حق فلا، ولا يُزَهِّدُنا في الحق قلّة أتباعه.

قوله: « إذ رُفع لي سواد عظيم» السواد هو: الأشباح البعيدة.

«فظننت أنهم أمتي» ظن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ- أن هذا السواد العظيم هم أمته، لأنه أكثر الأنبياء أتباعاً، -عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ-.

«فقيل لي: هذا موسى وقومه» هذا فيه فضل موسى -عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ- ، كليم الله، وأنه اتبعه من قومه خَلْق كثير، آمنوا به واتبعوه، فهو من أكثر الرسل أتباعاً بعد نبينا محمد -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ-، وفيه فضيلة لموسى -عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ-.

فهذا يدل على أن موسى -عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ- آمن به خَلْقٌ كثير من بني إسرائيل، وإنما حدث التحريف والكفر بعد موسى -عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ-.

قوله: « فنظرت فإذا سوادٌ عظيم»، وفي رواية: « ولكن انظر إلى الأفق»، والرواية في «صحيح مسلم».

«فنظرت فإذا سوادٌ عظيم، فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب»، وفي رواية: « ومنهم سبعون ألفاً»، السبعون الألف هؤلاء من أمّة محمد -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ- يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب. هذا فضل عظيم، والبقيّة من الخلائق تُحاسب، منهم من يُحاسب حساباً يسيراً، ومنهم من يناقش الحساب. واختلف العلماء في الكُفار هل يُحاسبون أو يدخلون النار بدون حساب؟، والذي قرّره شيخ الإسلام ابن تيمية- كما في «العقيدة الواسطية»- أنهم يقرّرون بأعمالهم فقط، ولا يحاسبون محاسبة من يوازن بين حسناته وسيئاته، لأنهم لا حسنات لهم، ولكنهم يقرّرون بكفرهم وأعمالهم الكفريّة، ثم يُؤمر بهم إلى النار - والعياذ بالله-. وان كان لهم حسنات في الدنيا فإنهم يجازون بها في الدنيا، وتعجّل لهم حسناتهم، فإن الله لا يظلم أحداً، أما في الآخرة فليس لهم ثواب ولا حسنات- والعياذ بالله-.

قوله: « ثم نهض -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ- » أي: قام.

«ودخل منزله» دون أن يبيّن من هم هؤلاء السبعون الألف.

والصحابة -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ- اهتموا بهذا الأمر، لأن هذا أمر عظيم، فصاروا يخوضون في هؤلاء السبعين من هم؟.

فقوله: « خاض الناس في أولئك» يعني: بحثوا من هم، وهذا من حرص الصحابة -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ- على الخير، واهتمامهم بأمور الآخرة، لأنهم لا يهتمُّون بأمور الدنيا، وإنما يهتمُّون بأمور الآخرة، بخلاف أهل الدنيا، إذا سمعوا بتجارة صاروا يتحدثون عنها ولا يهمهم أمر الآخرة.

قوله: « فقال بعضهم: فلعلهم الذين صَحِبوا رسول الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- » لأن أفضل الأمة هم الصحابة -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ-، لا أحد يساوي الصحابة في الفضيلة، قال -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-: « لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»، فالصحابة هم أفضل الأمة، ولا أحد يساويهم في الفضل- رضي الله تعالى عنهم-، بسَبْقِهم إلى الإسلام، وصحبتهم لرسول الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- وجهادهم في سبيل الله، وبذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيل الله -عَزَّوَجَلَّ- ، فلذلك قالوا: « فلعلهم الذين صحبوا»، لأنهم لا يعلمون أحداً أفضل من صحابة رسول الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-.

وقوله: « وقال بعضهم: فلعلهم الذين وُلدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله شيئاً» يعني: الذين وُلدوا بعد بِعْثَة النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- من أولاد المسلمين، وبقوا على الفطرة الصحيحة ، وآمنوا بالله ورسوله، ولم يشركوا بالله شيئاً. وهذا- أيضاً- فيه فضل من سَلِم من الشرك ، بحيث إن الصحابة توقَّعوا أنهم هم الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، ففيه فضل من سَلِم من الشرك، ولكن من وقع في الشرك ثم تاب تاب الله عليه، وصار من أفضل المسلمين لأن التوبة تَجُبُّ ما قبلها.

فقول الصحابة: « فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله شيئاً» يدل على خطر الشرك، وأن الإنسان لو وُلد في الإسلام فإن هذا لا يكفي، لابد أن يَسْلم من الشرك، ولا

يسلم من الشرك إلاَّ إذا عرفه وعرف طرقه، حتى يتجنّبه ويحذّر منه، أما من يجهل الشيء فربما يقع فيه، لأنه لا يدري عنه؛ وعمر بن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يقول: « إنما تُنْقَضُ عُرى الإسلام عُروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية»، وحذيفة بن اليمان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يقول: « كان الناس يسألون رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه» ، فهذا أمر عظيم جدًّا، الاهتمام بأمر العقيدة، والخوف من الشرك، ومن خاف من شيء فإنه يهرب منه، ولا يمكن أن يهرب منه إلاَّ إذا عرف من أن يأتيه هذا العدو، ومن أين يدركه، فهذا أمر عظيم.

وقوله: « ثم خرج عليهم رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فأخبروه» ذكروا ما بحثوا فيه، وما خاضوا فيه، والاجتهادات التي أبدَوْها حول هذا الأمر. وهذا فيه دليل على مشروعية المباحثة في أمور العلم، والبحث عن معاني كلام الله وكلام رسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حتى نعمل به، وننتفع به.

وقوله: « قال: هم الذين لا يَسْتَرْقُون» يعني: لا يطلبون من غيرهم أن يَرقيهم، لماذا؟، لأن طلب الرُّقية من الناس سؤال للمخلوق، والسؤال للمخلوق فيه ذِلّة، فهم يستغنون عن الناس، ويعتمدون على الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ، وهذا من تمام التّوحيد.

وقوله: « ولا يَكْتَوُون» كذلك لا يطلبون من غيرهم أن يكويهم بالنار من أجل العلاج.

والكَيْ بالنار نوع من أنواع الطب، وقد قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « الشفاء في ثلاث: شَرْبة عسل، أو شَرْطة مِحْجَم، أو كيّة بنار»[1]، وفي رواية أخرى: « وأنا أكره الكَيْ »، فالكَيُّ عند الحاجة علاج مباح، ولكنه إذا طلبته من غيرك، يكون مكروهاً لأنه من مسألة الناس، وكذلك يكره الكيّ ذاته، لما فيه من التعذيب بالنار.

---

[1] رواه البخاري 5680 ،وابن ماجه 3491

قوله: « ولا يَتَطَيَّرون» التطيّر هو: التشاؤم بالطيور وغيرها، ثم يرجع المتطير عمّا عزم عليه، هذا هو التّطيُّر ، أما التفاؤل فهو مشروع، وكان النبي يعجبه الفَأْل،

والفرق بين الفأل والطيرة:

أن الفَأْل حسن ظن بالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ، أما الطِّيَرة فهي سوء الظن بالله.

فهؤلاء السبعون الألف استحقوا هذه المنزلة، لأنهم تركوا أموراً محرمة وهي الطيرة، أو مكروهة وهي طلب الرقية والكي من الناس، فهم تركوها استغناء عن الناس، وتوكلاً على الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

أما أن الإنسان يَرْقِي نفسه أو يَرْقِي غيره، فهذا فعله النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فرقى نفسه ورقى غيره ورقاه غيره فلا كراهة في ذلك.

يبقى قضية التداوي بالمباح كالحبوب- مثلاً-، أو بالأعشاب، أو بإجراء العمليّات الجراحيّة: واستئصال الأورام أو الزوائد؛ فهذا مباح، من غير كراهة لقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «تَدَاوَوْا وَلَا تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ»[(1)] ، وقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً، إِلَّا قَدْ أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ»[2] ومن العلماء من يرى أن التداوي مستحب، ومن العلماء من يرى أنه واجب، والتدواي سواءً كان مباحاً أو مستحبًّا أو واجباً لا ينافي التوكل، لأن بعض الجهّال يقول: اتْرُك التدواي توكّلاً على الله، نقول: الأخذ بالأسباب لا ينافى التوكل، والتداوي سبب، والأخذ بالأسباب قد أمر الله تعالى به.

قوله: « فقام عُكّاشة بن مُحصَن» عُكّاشة بن مُحصَن الأسدي ، من السابقين إلى الإسلام، شهد غزوة بدر، وغيرها من المشاهد مع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وعاش بعد النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقاتل في حروب الرّدة حتى قُتل، - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

---

1 سنن أبي داود 4/ 7

2 مسند أحمد 6/ 50

«فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم» هذا فيه مشروعيّة طلب الدعاء من أهل الخير، الأحياء، لأن هذا الصحابي طلب الدعاء من رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأقرّه على ذلك، فدلّ على جواز، طلب الدعاء من الصالحين الأحياء.

«قال: أنت منهم» أخبر -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن عُكّاشة من السبعين الألف الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، وقد وقع ما أخبر به -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، فإنه قُتل شهيداً في سبيل الله -عَزَّ وَجَلَّ- وفي هذا دليل من أدلة النبوّة، حيث أخبر -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن عُكّاشة من السبعين الألف، وقتل شهيداً في سبيل الله -عَزَّ وَجَلَّ-، فصار في زُمْرة الشهداء في سبيل الله، مع سَبْقه إلى الإسلام، وشهوده بدراً وغيرها مع الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

« ثم قام رجل آخر، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: « سبقك بها عُكّاشة»، كأن الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- علم أن هذا الرجل لا يصل إلى هذه المرتبة، ولكن ما جابهه بكلام يكرهه، ولم يقل له: أنت لا تستحق، أو أنت لست من أهل هذه المنزلة، وهذا من حُسن أدب الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ [القلم].

وقال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: 159] بل جاء بكلمة لم تؤثر على الرجل، وهي وافية بالمقصود ، فقال: « سبقك بها عُكّاشة».

فهذا حديث عظيم دلَّ على مسائل:

أولاً: دلَّ على جواز الرُّقية من العين ومن الحُمة وغيرهما، لأنه فعله حُصين بن عبد الرحمن، واستدل بحديث الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

ثانياً: في الحديث دليل على فضل موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وأمته الذين آمنوا به.

ثالثاً: فيه دليل على عدم الاحتجاج بالكثرة، وهذه مسألة مهمة.

رابعاً: فيه حرص الصحابة على مسائل العلم ومعرفتها، حيث خاضوا في طلب معنى هذا الحديث الذي ألقاه عليهم رسول الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- وبحثوا فيه.
خامساً: في الحديث دليل على كراهية سؤال الناس: « لا يَسْتَرْقُون، ولايُكْتَوُون»، ففيه كراهيّة سؤال الناس، وأن سؤال الناس فيه تنقيص للتوحيد، أما الاستغناء عنهم فهذا فيه كمال للتّوحيد، وهو من تحقيق التّوحيد.

سادساً: الحديث دليل على جواز العلاج بالكَيْ، مع الكراهة بشرط أن يكون المعالج به من أهل المعرفة، الذي يعرفون موضع الألم وموضع الكَيْ، ومقدار الكَيْ، وفيه دليل على أن الإصابة بالعين حق، وأنها تُعالج بالرُّقية، وتعالج بما أرشد إليه النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- من الاستغسال- أيضاً-.

سابعاً: فيه دليل على علم من أعلام نبوّته -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- حيث أخبر أن عُكّاشة من السبعين الألف، وقد قُتل شهيداً في سبيل الله بعد ذلك.

ثامناً: وفيه دليل على استعمال المعاريض في الأمور التي يُكره مواجهة الناس بها، وحُسن خلقه -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- في تعامله مع أصحابه، وكذلك يجب أن يقتدي به أهل العلم وأهل الدعوة في مخاطبتهم للناس.

تاسعاً: وفيه دليل على طلب الدليل على المذهب، حيث إن سعيد بن جُبير طلب من حُصين بن عبد الرحمن الدليل على ما فعله من طلب الرقية فلما جاء بالدليل استحسنه، وقال له: « قد أحسن من انتهى إلى ما سمع».



أسئلة تقويمية

1- ما معنى الإخلاص؟

2- كيف يحقق العبد التوحيـد؟

3- ما معنى «الرقيـة»؟

4- ما معنى «الحمة» ؟

5- ما معنـى قوله: « ولا يتطيرون» ؟

6- ما الفرق بين التشاؤم والفأل ؟



الخوف من الشرك

وقـــــول الله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: 48].

وقال الخليل –عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ –: ﴿ وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥ ﴾ [إبراهيم].

وفي الحديث: « إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ» قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " الرِّيَاءُ»[1] رواه أحمد والطبراني والبيهقي.

وعن ابن مسعود – رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ– أن رسول الله –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قال«مَنْ مَاتَ وَهْوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ» [2] رواه البخاري. ولمسلم عن جابر – رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ– أن رسول الله –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قال: «مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ»[3]

الشـرح

هذا الدرس من أهم ما يكون؛ لأنه لا يكفي أنّ الإنسان يعرف التّوحيد ويعمل به، بل لابد أن يعرف ضدّه وهو الشرك، خشية أن يقع فيه، ويُفسد عليه توحيده، لأن من لا يعرف الشيَّء يوشك أن يقع فيه، كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ–: « يوشك أن

---

[1] أحمد 428/5 .

[2] البخاري: تفسير القرآن 4497 ، وأحمد 374/1، 402/1، 407/1، 462/1، 464/1 .

[3] مسلم: الإيمان 93 ، وأحمد 325/3، 344/3، 374/3، 391/3 .

تُنْقَض عُرى الإسلام عُروة عُروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية»؛ لأنه لا يدري عن أمور الجاهلية أو يحسبها شيئاً طيّباً وهي من أمور الجاهلية، فبجهله بحقيقتها الْتَبَسَتْ، فصار يفعلها وهي من الجاهلية، فكذلك وأخطر من ذلك من لا يعرف الشرك ومداخله، وأنواعه، وأخطاره، فإنه حَريٌّ أن يقع في الشرك من حيث لا يدري، لأن الجهل داء قاتل، والشاعر يقول:

والضد يظهر حسنه الضد *** وبضدها تتبين الأشياء

فلا يعرف قيمة الصحة إلاَّ من ذاق المرض، ولا يعرف قيمة النور إلاَّ من وقع في الظلام، ولا يعرف قيمة الماء إلاَّ من عطش، وهكذا، ولا يعرف قيمة الطعام إلاَّ من مسّه الجوع، ولا يعرف قيمة الأمن إلاَّ من أصابه الخوف.

إذاً: لا يعرف قيمة التّوحيد، وفضل التّوحيد، وتحقيق التّوحيد إلاَّ من عرف الشرك وأمور الجاهلية حتى يتجنّبها، ويحافظ على التّوحيد.

ومِن هنا يظهر خطأ هؤلاء الذين يقولون: لا داعي أن نتعلم العقائد الباطلة ونعرف المذاهب الباطلة، ونرد على المعتزلة والجهمية، لأنهم بادوا وذهبوا، علموا الناس التّوحيد ويكفي، أو بعضهم يقول لا تعلّموهم التّوحيد لأنهم أولاد فطرة، ونشأوا في بلاد المسلمين، علّموهم أمور الدنيا: الصناعات والاختراعات والأمور الحديثة، أما التّوحيد فيحصلونه بفطرتهم وبيئتهم، نعم وجُد من يقول هذا، وبعض الناس يقول: الناس تجاوزوا مرحلة الخرافات لأنهم تثقفوا وعرفوا، فلا يكمن أن يشركوا؛ لأن الشرك كان في الجاهلية، يوم كان الناس سذج ويسمون الشرك في العبادة شركاً ساذجاً، وهذا كلام باطل بين البطلان، وكل هذه من حيَل الشيطان لبني آدم، والواجب أننا، كما نعرف الحق؛ يجب أن نعرف الباطل، من أجل أن نعمل بالحق، ونتجنّب الباطل.

فالموحّد يجب أن يخاف من الشرك، ولا يقول أنا موحّد وأنا عرفت التّوحيد، ولا خطر علي من الشرك، هذا إغراء من الشيطان، لا أحد يزكي نفسه، ولا أحد لا يخاف من الفتنة ما دام على قيد الحياة، فالإنسان معرّض للفتنة، ضلّ علماء أحبار، وزلّت أقدامهم، وخُتم لهم بالسّوء، وهم علماء، فالخطر شديد، ولا يأمن الإنسان على نفسه أن تَنْزَلِق قدمه في الضلال، وأن يقع في الشرك، إلاَّ إذا تعلم هذه الأمور من أجل أن يجتنبّها، واستعان بالله، وطلب منه العصمة والهداية: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران].

خافوا من الزّيغ بعد الهداية، والمهتدي يكون أشد خوفاً أن يزيغ، وأن تزلّ قدمه، وأن تسوء خاتمته، وأن يكون من أهل النار، نسأل الله العافية.

وقول الله -عَزَّوَجَلَّ-: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: 48].هذا خبر من الله عن نفسه -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ-مؤكّد بـ « إِنَّ ».

أنه: ﴿ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾

الشرك ينقسم إلى شرك أصغر وأكبر، وفيه خفي وجلي ،

فالشرك الأكبر: ما يخرج الإنسان من الملة مثل الذبح لغير الله والسجود لغيره والاستغاثة بغيره ونحوها.

والشرك الأصغر: كل شيء أطلق الشارع عليه أنه شرك ودلت النصوص على أنه ليس من الأكبر مثل: " من حلف بغير الله؛ فقد أشرك ".

وهذا يدل على خطورة الشرك، فالله لا يغفر للمشرك مع أن رحمته وسعت كل شيء، ولكن المشرك لا يدخل فيها، لعِظَم جريمته- والعياذ بالله، فمن مات على الشرك فإنه لا يغفر له، وهذا يدلّ على خطورة الشرك، فإذا كان الشرك بهذه الخطورة، فإنه يجب الحذر منه

غاية الحذر، كل الذنوب مَظِنّة المغفرة ورجاء المغفرة إلاَّ الشرك. والشرك لا يمكن تجنبه إلاَّ إذا عرف وعرف خطره.

وفي الآية الأخرى أخبر -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ- أنه حرم الجنة على المشرك، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة].

والحرام: الممنوع، فلا يمكن أنّ المشرك يذوق طعم الجنة، أو يشم رائحة الجنة.

وقال الخليل -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ -: ﴿ وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [إبراهيم].، الخليل: هو إبراهيم -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - ، سمي بالخليل لأن الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ- اتخذه خليلاً، كما قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النساء].

من الخُلَّة ، وهي أعلى درجات المحبة، أي: أن الله يحبه أعلى المحبة، وهذه مرتبة لم ينلها إلاَّ إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

قوله: ﴿وَٱجْنُبْنِى ﴾ أي أبعدني واجعلني في جانب بعيد ﴿ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ خاف من عبادتها.

مع هذه المنزلة العظيمة التي نالها إبراهيم -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - من ربه، ومع أنه قاوم الشرك وكسر الأصنام بيده، وتعرض لأشد الأذى في سبيل ذلك حتى ألقي في النار، مع ذلك خاف على نفسه من الوقوع في الشرك، لأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، والحي لا تؤمن عليه الفتنة، ولهذا قال بعض السلف: « ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟»، فإبراهيم خاف على نفسه الوقوع في الشرك لما رأى كثرة وقوعه في الناس، وقال عن الأصنام: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: 36].

وفي هذا أبلغ الرد على هؤلاء الذين يقولون: لا خوف على المسلمين من الوقوع في الشرك بعدما تعلموا وتثقفوا ؛ لأن الشرك بعبادة الأصنام شرك ساذج يترفع عنه المثقف والفاهم، وإنما الخوف على الناس من الشرك في الحاكمية[1]، ويركزون على هذا النوع خاصة، وأما الشرك في الألوهية والعبادة فلا يهتمون بإنكاره، وعلى هذا يكون الخليل -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وغيره من الرسل إنما ينكرون شركاً ساذجاً!!، ويتركون الشرك الخطير وهو شرك الحاكمية كما يقول هؤلاء.

قال: « وفي الحديث» أي الحديث الذي رواه أحمد والطبراني والبيهقي أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال لأصحابه: « أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول لأبي بكر وعمر ولسادات المهاجرين والأنصار، الذين بلغوا القمّة في التّوحيد والإيمان والجهاد في سبيل الله، ومع هذا الرسول يخاف عليهم، فمن يأمن بعد هؤلاء؟: « أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، فسئل عنه فقال: « الرياء» هذا دليل على اهتمام الصحابة في الأمر.

والرياء معناه: أن الإنسان يتصنّع أمام الناس بالتقوى، والعمل الصالح، وإتقان الصلاة، وغير ذلك، من أجل أن يمدحوه، فالرياء من الرؤية أن يحب الإنسان أن يراه الناس وهو يعمل العمل الصالح من أجل أن يمدحوه، والسُّمعة أن يحب الإنسان أن الناس يسمعون كلامه.

ويسمعون عمله ويمدحونه، فالرياء لما يُرى من الأعمال، والسُّمعة لما يسمع منها.

والرياء شرك خفي، لأن الشرك على نوعين: شرك ظاهر، وشرك خفي، الشرك الظاهر: الذي يتمثل في الأعمال والأقوال، بأن يدعو غير الله، أو يذبح لغير الله، أو يستغيث بغير الله، هذا ظاهر يراه الناس ويسمعونه.

---

[1] - الحاكمية: هي تحكيم شرع الله عز وجل وهي داخلة في توحيد العبادة ، وليست قسما مستقلا ، بل جعلها قسما مستقلا أمر محدث ، لم يقل به أحد من الصحابة ولا الأئمة الأربعة .

الشرك الخفي: لا يدري عنه الناس، لأنه في القلب، لا يعلمه إلاَّ الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ-، وهو الشرك في النيّة والإرادة، فالإنسان إذا سَلِم من الشرك الأكبر فإنه قد لا يسلم من الشرك الأصغر الذي يكون في القلوب، وهذا مما يُعطي المؤمن الحذر الشديد.

والرياء من صفات المنافقين، يقول الله تعالى في المنافقين: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾ [النساء].

والله تعالى توعّد المرائين، قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾[الماعون].

فتوعدهم الله بالويل، وجاء في الحديث أن الله يقول للمرائين يوم القيامة: « اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً »[1].

فهذا الحديث فيه الخوف من الشرك، لأن النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- خافه على سادات المهاجرين والأنصار، وعلى أفضل هذه الأمة، فكيف بمن دونهم، وإذا كان هذا في الشرك الأصغر الذي لا يُخرج من الملّة فكيف بالشرك الأكبر؟!!

وفيه دليل على وجوب إخلاص النية لله -عَزَّوَجَلَّ-، وان الإنسان لا يقصد مدح الناس أو ثناء الناس أو مطامع دنيا بأعماله الصالحة، وإنما يخلص النيّة لله -عَزَّوَجَلَّ-، يريد وجه الله، فإن عَمِل من أجل الرياء فعمله باطل.

فهذا الحديث يدل:

أولاً: على الخوف من الشرك.

ثانياً: أن الرياء شرك، ومعناه- كما ذكرنا-: أن يُحبَّ الإنسان أن يراه الناس على الطاعة فيُثنوا عليه بها.

---

[1] مسند أحمد ط الرسالة 39/ 39

وثالثاً: أن الرياء شرك خفي، لا يعلمه الناس، وإنما الله جل وعلا هو الذي يعلمه، لأنه في القلوب.

قال: « وعن ابن مسعود - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- أن النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- قال: « مَنْ مَاتَ وهو يُشركُ باللهِ شيئاً دخلَ النار» هذا خبر من الرسول -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- أنّ من مات على الشرك فهو من أهل النار، ولا يُغفر له. ولاحظوا كلمة «شيئاً» تعم الشرك كله، ما أشرك مع الله من نبي أو ولي أو ملك ، لأن الشرك لا يقبله الله أبداً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء: 48]. . ومن يدري متى يموت؟، ومن يدري على أي شيء يموت؟، فالإنسان يخاف على نفسه من سوء الخاتمة، وأن يموت وهو يشرك بالله، فيكون من أهل النار، فالإنسان يجب عليه أن يحذر من الشرك طول حياته لأنه لا يدري في أي لحظة يموت، فيكون من أهل النار.

فهذا فيه الخوف من الشرك، وأن الإنسان قد يُختم له بالشرك فيكون من أهل النار، ولو كان من أهل التّوحيد قبل ذلك، وعارف به، ومستقيم، لكن يخاف على نفسه من أنه ينتكس بعد ذلك، ويشرك بالله، ويموت على ذلك فيكون من أهل النار، فنسأل الله الثبات، فيكون عنده حذر دائماً وأبداً من الشرك.

قال: « ولمسلم عن جابر أن رسول الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- قال: « من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة» هذا فيه فضل التّوحيد، وأن من مات عليه دخل الجنة، وهذا وعد من الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ-، والله لا يخلف وعده، حتى ولو كان عنده ذنوب ومعاص دون الشرك، فقد يغفرها الله له ويدخله الجنة من غير عذاب، وقد يعذبه الله بها ثم يدخله الجنة، فمآل الموحّد إلى الجنة، إما ابتداءً وإما في النهاية.

فقوله: « من لقي الله » يعني: مات.

«ومن لقيه يُشرك به شيئاً دخل النار» هذا مثل حديث ابن مسعود، من مات على الشرك، فإنه من أهل النار،- نسأل الله العافية-.

فهذا فيه الحذر من سوء الخاتمة.

وفيه: قرب الجنة والنار من الإنسان، فما بينه وبين الجنة والنار إلاَّ أن يموت، ولا يدري ، ربما يموت في الحال، ربما يموت بعد دقائق، أو بعد شهر، أو بعد سنة، ما بينه وبين النار والجنة إلاَّ الموت، فإذا مات دخل النار أو دخل الجنة، ففيه قُرب الجنة والنار من الإنسان، والنبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ»[(1)]

والشاعر يقول:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ ... وَالمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ[2]

تصبح في الدنيا وتمسي في الجنة، أو بالعكس.

فهذا الحديث فيه الخوف من الشرك، وأن الإنسان يخشى أن يلقى الله وهو على الشرك فيكون من أهل النار، والعياذ بالله

وفي نصوص الباب أن الإنسان لا يغتر بنفسه مهما بلغ من العلم والإيمان والمعرفة، بل يعترف بعجزه وفقره إلى الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ، وأنه إن لم يعصمه الله فإنه على خطر.

كما أن في حديث : « من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار»، بيان معنى لا إله إلاَّ الله، لأن في هذا الحديث التّوحيد والشرك، ولا إله إلاَّ الله أثبتت التّوحيد ونفت الشرك، فلا إله نفي للشرك، وإلاَّ الله إثبات للتّوحيد.

❁❁❁❁❁❁

[1] صحيح البخاري 8/ 102

[2] صحيح البخاري 3/ 23

أسئلة تقويمية

1- ما معنى الرياء؟

2- على ماذا يدل حديث: « أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الأصغر»؟

3- ما معنى حديث: « من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة.. »؟

❁❁❁❁❁❁

من الشرك: لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

قول الله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الزمر].

عن عمران بن حصين - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: « أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَبْصَرَ عَلَى عَضُدِ رَجُلٍ حَلْقَةً، أُرَاهُ قَالَ مِنْ صُفْرٍ، فَقَالَ: " وَيْحَكَ مَا هَذِهِ؟ " قَالَ: مِنَ الْوَاهِنَةِ؟ قَالَ: " أَمَا إِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا انْبِذْهَا عَنْكَ؛ فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا " [1] رواه أحمد بسند لا بأس به.

[1] - ابن ماجه: الطب 3531 ، وأحمد 445/4 .

وله عن عقبة بن عامر مرفوعا: " مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً، فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً، فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ " [1] وفي رواية: " مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ " [2].

ولابن أبي حاتم عن حذيفة « أنه رأى رجلا في يده خيط من الحمى، فقطعه وتلا قوله: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يوسف].

---

1 - أحمد 154/4 .

2 - أحمد 156/4 .

الشـرح

إن من أنواع الشرك، «لبس الحلْقة والخيط ونحوهما» وهو مما يعلّق على البدن أو على الدابة، أو على السيارة أو على الأبواب من الأشياء التي يعتقدون فيها أنها تدفع عين الحاسد، وأنّها تحرس البدن، أو تحرس الدابة، أو تحرس السيارة أو تحرس البيت أو المتجر من الشرور والمحاذير، وهذه عادةٌ جاهليةٌ لا تزال في بعض الناس إلى اليوم، بل تتزايد بسبب الجهل، فإنهم يعلّقون هذه الأشياء على أجسامهم، وعلى أجسام الأطفال، وعلى السيارات، والدكاكين، والبيوت، قصدهم من ذلك أن هذه الأشياء تدفع عنهم الشرور والمحاذير، وهذا من الشرك لأنه تعلق على غير الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ- ، لأن الله جل وعلا وهو الذي يدفع الشر، وهو الذي إذا أراد بعبده شيئاً فلابد أن يقع إما في نفسه أو في ماله أو في أهله، فلا أحد يدفعه ، وإذا منع شيئاً فلا أحد ينزله﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢ ﴾ [فاطر].

الأمر كله بيد الله جلّ وعلا، فيجب أن تتعلق القلوب بالله -عَزَّوَجَلَّ- ، وأن تُخلص العبادة لله -عَزَّوَجَلَّ- ، وأن لا يخاف إلاَّ من الله -عَزَّوَجَلَّ- ، فمن تعلّق قلبه بالله ووحّد الله، فإنه لا يضره شيء إلاَّ بإذن الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ- ، أما من تعلّق على غير الله، فإن الله يَكِلُه إلى ما تعلق عليه،﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ ﴾ [الزمر: 38] ، تتمة الآية: ﴿ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ۝٣٨ ﴾ [الزمر].

هذه الآية من سورة الزمر ، السورة العظيمة التي قرّر الله فيها التّوحيد، وأبطل فيها أنواع الشرك، فالسورة من أولها إلى آخرها تعالج قضية العقيدة، وتعالج قضية أنواع الشرك

التي كان المشركون يزاولونها، فأبطلتها هذه السورة ونقضتها، ومن ذلك هذه الآية الكريمة.

﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ، الخطاب للنبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- ، أي قل لهؤلاء المشركين: ﴿ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾من الأصنام والأحجار والأشجار والقبور والأضرحة والأولياء والصالحين، وكل ما يُعبد من دون الله. فالسؤال موجّه إلى كل مشرك على وجه الأرض إلى أن تقوم الساعة، هل يستطيع الإجابة عنه؟، لا.

﴿ أَفَرَءَيۡتُم ﴾ أي: أخبروني ﴿ مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ « ﴿مَا﴾» عامة لكل ما يُدعى من دون الله، لا يُستثنى منها شيء، سواء كان من البشر أو من الجماد أو غير ذلك.

﴿ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ ﴾ يعني: بضرر، أو بفقر، أو بموت، أو أرادني بضياع مال، أو إصابة في قريب، أو غير ذلك مما يضرّني في بدني أو في مالي أو في أهلي.

﴿هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ ﴾ هل هذه المعبودات التي تعبدونها تستطيع أن تكشف الضر عمّن دعاها؟، وهذا مثل ما سبق في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ٥٦ ﴾ [الإسراء].

﴿هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ ﴾ ؟ ، سؤال استنكار ونفي، أي: لا تكشف الضر عمن دعاها. ولذلك المشركون يمرضون، ويُقتلون، ويُصابون، وتذهب أموالهم، ولا تستطيع معبوداتهم أن تدفع عنهم شيئاً نزل من الله -سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ-. ﴿أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ ﴾ ،من صحة وغنىً وغير ذلك من أنواع الرحمة، هل أحد من الخلق يستطيع أن يمنع نزول الرحمة على أحد من عباد الله؟، فظهر بذلك عجز آلهة المشركين. والنبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- قال لهم هذا وتلا عليهم القرآن، وسألهم هذا السؤال، وأعلنه على رؤوس الأشهاد، ولم يُجيبوه، ولن يجيبوه إلى أن تقوم الساعة.

هذه من جملة الأسئلة التي وجهها الله في القرآن إلى المشركين ولم يجيبوا عنها. فدلّ على بطلان الشرك.

﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ أي: هو كافيني، لأن الحَسْب معناه: الكافي، فهذا فيه تفويض الأمور إلى الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ، وتعليق القلوب بالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- دون ما سواه، لما أبطل الشوك في أول الآية قرّر التّوحيد بقوله: ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ أي: هو كافيني ولن يستطيع أحد أن يضرني من دون الله أو ينفعني من دون الله، ولهذا يقول هود -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- لقومه:

﴿ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ ﴾ [هود].

ثم قال: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ [هود].

﴿ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الزمر].

ولا يتوكلون على الحلْقة والخيط والصنم والقبر والولي أو غير ذلك، بل الذي يُتوكّل عليه هو الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ، لأنه بيده مقادير الأشياء.

وفي الحديث أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال لعبد الله بن عباس: « وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ »[1].

قوله: « عمران بن حُصين» بن عُبيد الخزاعي، هو وأبوه صحابيّان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، ومن أفاضل الصحابة.

---

1 - رواه الترمذي 2516 وأحمد 2763،2670

« أن النبي -صَلَّٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- رأى رجلاً» الرجل مُبْهَم، ولكن جاءت الرّوايات أنه هو نفس عمران بن حُصين، دخل على النبي -صَلَّٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ-.

« وفي يده حلقة» الحلْقة هي: الشيء المستدير الذي يُدار على العضد، أو على الذِّراع، أو على الأصبع. فالشيء المستدير يسمى حلْقة، ومنه تحلّق القوم إذا استداروا في الجلوس. « من صُفر» الصفر نوع من المعدن معروف.

« فقال النبي -صَلَّٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ-: « ما هذا؟» الظاهر أنه سؤال إنكار، وقيل: إنه سؤال استفهام، فالنبي -صَلَّٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- سأله عن قصده في هذه الحلقة.

ففيه دليل على وجوب إنكار المنكر، وفيه دليل على أن الإنسان لا ينكر شيئاً حتى يعرف مقصود صاحبه إذا كان الشيء محتمِلاً، فإن كان مقصود صاحبه شرًّا فإنه ينكره. « قال: من الواهنة» يعني: لبستها من أجل دفع الواهنة، لتقيني منها، والواهنة مرض يصيب اليد، يُسَمَّى عند العرب بالواهنة، وكان من عادتهم لبس الحلْقة من أجل توقِّي هذا الوجع، يزعمون أن هذه الحلْقة تدفع هذا الوجع.

« فقال النبي -صَلَّٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ-: « انزعها» النزع معناه: الرفع بشدّة، أي: ارفعها مسرعاً بنزعها ونشيطاً في رفعها لا تتوانى، في تركها على جسمك، لأنها مظهر شرك- والعياذ بالله-. ففيه المبادرة بإزالة مظاهر الشرك، وأن الإنسان لا يتوانى في تركه.

ثم علّل -صَلَّٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- ما في بقائها عليه من الضرر، قال: « فإنها لا تزيدك إلاَّ وهناً» إلا ضعفاً، فالوهن معناها: الضعف والمرض.

فهذا فيه دليل على أن لبس هذه الأشياء فمن الحلْقة ونحوها بقصد دفع الضرر أنه يسبّب عكس المقصود، فإنه لبسها من أجل توقِّي المرض، والنبي -صَلَّٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- أخبر أنها تجلب المرض، وذلك ظاهر في الذين يتعاطون هذه الأشياء؛ تجدهم دائماً في قَلَق وفي خوف، لكن الذي يتوكل على الله لا يهمّه شيء فتجده نشيطاً، قويّ العزيمة، مرتاح الضمير، منشرح

الصدر، وتجد الذي يخاف من غير الله ويستعمل هذه، الرباطات ضعيف الجسم، منهك القوى، مهموماً حزيناً، يتخوّف من كل شيء.

« فإنك لو متّ وهي عليك ما أفلحت أبداً» أي: لو مات ولم يتب منها ما أفلح أبداً. فهذا فيه دليل على أن الشرك لا يُغفر حتى ولو كان شركاً أصغر، يُعذّب به، وإن كان لا يعذّب تعذيب المشرك الشرك الأكبر؛ فلا يخلّد في النار، لكن يعذّب بها بقدره. فيه شاهد لكلام الصحابة: أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر»، فالشرك الأصغر أكبر من الكبائر، لأن المعاصي وإن كانت كبائر إذا لم تكن شركاً، فلا تخل بالعقيدة وأما الشرك الأصغر فإنه يخلّ بالعقيدة، وأيضاً لا يُغفر على الصحيح، والمعاصي الكبائر التي دونه مظِنّة المغفرة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: 48].والشاهد من هذا الحديث ظاهر: لأن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ- استنكر لبس الحلْقة التي يُقصد منها دفع الضرر، وأخبر أنها لا تزيد صاحبها إلاّ مرضاً، وأنه لو مات وهي عليه ما أفلح أبداً، وهذا فيه دليل على منع لبس الحلْقة ونحوها من أجل دفع الضرر، أو من أجل دفع العين، أو غير ذلك من المقاصد السيّئة.

ومثله: ربط الخيط على الساق، فبعض الناس يربطون خيوطاً على سيقانهم، أو على أذرعهم، أو على أصابعهم، ويقولون: إن هذا يمنع من المرض، وهذا هو نفسه فعل الجاهلية، وهو مثل الذي استنكره النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ- في هذا الحديث. قال: « وله» أي: للإمام أحمد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- « من تعلق تميمة فلا أتم الله له» إلخ. قوله: « من تَعَلَّق» أي: من علّق هذا الشيء على جسمه، أو علّق قلبه به، واعتقد فيه أنه ينفعه أو يضره من دون الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

« تميمية» التَمِيمَة: خرزات تعلّق على الأولاد يتّقون بها العين، وكذلك ما شابهها من كل ما يُعلّق من الخرزات وغيرها من الحُرُوز والحُجُب، فهذا ليس بخاص بالخرز، وإنما هذا

التفسير لبيان نوع من أنواع المعلّقات، ومنهم من يعلّق النعل على الباب، ويجعل وجه النعل مقابلاً للشخص الآتي، أو على السيارة، ويظنون أن هذه الأشياء تدفع عنهم شر الحسد، وكل هذا من أمور الجاهلية.

وقوله: « فلا أتم الله له» هذا دعاء من النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- بأن الله لا يتمّ له أموره، ويعكس مقصوده عليه؛ والرسول -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- مجاب الدعوة، فهذه الدعوة تتناول كل من علّق على نفسه أو على غيره شيئاً من الحُجُب والحُرُوز والتمائم يريد بها كفّ الشر عنه إلى يوم القيامة، إلاَّ أن يتوب إلى الله -عَزَّوَجَلَّ-، فمن تاب تاب الله عليه، ومن لم يتب « فلا أتمّ الله له» يعني: لا أتم الله له أمره ومقصوده، بل أصابه بعكس ما يريد من الضرر والشر والخوف والقلق، ولهذا تجدون من يعلِّقون هذه الأشياء من أكثر الناس خوفاً وهمًّا وحزناً وضعفاً وخوراً.

بعكس الموحّدين المعتمدين على الله، فتجدونهم أقوى الناس عزيمة وأقوى الناس عملاً، وتجدونهم في أمن واستقرار وانشراح الصدور، لأنهم يؤمنون بالله -عَزَّوَجَلَّ- وحده، ويعلّقون آمالهم بالله -عَزَّوَجَلَّ-، والله يكفيهم -سُبۡحَانَهُوَتَعَالَىٰ-: ﴿قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٣٨﴾ [الزمر]. ، ويقول -سُبۡحَانَهُوَتَعَالَىٰ-: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾ [الطلاق].

وقوله: « ومن تعلق وَدْعَة ؛ فلا وَدَع الله له» الوَدْع: شيء يُستخرج من البحر، يشبه الصّدف، يعلقونه على صدورهم أو على أعناقهم أو على دوابهم يتقون به العين. « فلا وَدَعَ الله له» أي: لا تركه في دَعَة وسُكُون وراحة، بل سلّط عليه الهموم والأحزان والوساوس والأعداء حتى يُصبح في قلق وهمّ وغمّ دائم، وهذا دعاء من الرسول -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- بأن يسلب الله راحته واستقراره وأمنه، ويصبح في خوف وهمّ وقلق دائم،

يخاف من كل شيء، إلى أن يتوب إلى الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ، وهذا ظاهر في كل من يتعاطون هذه الأشياء، تجدونهم من أشد الناس قلقاً وهمًّا وخوفاً وتوقُّعاً للمكروه في كل لحظة ومن كل شخص.

قال: « وفي رواية» يعني: للإمام أحمد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ -.

« من تعلّق تَمِيمَة؛ فقد أشرك» هذه فيها زيادة على دعاء الرسول -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عليه بأنه قد أشرك، فهذا تصيبه مصيبتان: مصيبة دعوة الرسول -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عليه، والمصيبة الثانية في عقيدته، وهي أنه قد أشرك بالله -عَزَّ وَجَلَّ- باتخاذ هذا الشيء.

فإن قلت: ما نوع هذا الشرك؟، هل هو الشرك الأكبر؟

نقول: فيه تفصيل إن كان يرى أنها تقيه من دون الله فهذا شرك أكبر. وإن كان يعتقد أنها سببٌ فقط، والواقي هو الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ، فهذا شرك أصغر لأن الله لم يجعل هذه الأشياء سبباً.

قوله: « ولابن أبي حاتم عن حذيفة: أنه رأى رجلاً في يدّه خيط من الحُمّى» يعني: اتخذه أن يقيه من الحُمّى، والحُمّى: ارتفاع الحرارة في الجسم. فالرجل ربط الخيط من أجل أن يتقي الحُمّى، فحذيفة بن اليمان - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- قطع هذا الخيط من هذا الرجل، فهذا فيه إزالة المنكر، كما أن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لما رأى الحلْقة قال: « انزعها». قوله: « وتلا قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يوسف].

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم ﴾ أكثر الناس ﴿وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ قيل معناه: أنهم لا يؤمنون بالربوبية إلاَّ وهم مشركون في الألوهية، لأن المشركين كلهم يقرُّون بالربوبية، ولكنهم يشركون في الألوهية، إما الشرك الأكبر وإما الشرك الأصغر، وربط الخيط حسب ما فصّلنا من أنه إذا كان يرى أن النفع والضرر بيد الله، وإنما الخيط سبب، فهذا شرك أصغر؛

لأن الله لم يجعل ربط الخيط سبباً من الأسباب الواقية. أما إذا كان يعتمد على هذا الخيط من دون الله في دفع الضرر؛ فهذا شرك أكبر.

فدلّ على أن الشرك قد يقع ويكثر وقوعه حتى من أهل الإيمان، إن كان المراد الشرك الأصغر، فالشرك الأصغر قد يصدر من المؤمن، كما قد يصدر منه النفاق العملي، ويصدر منه الرياء.

أما إذا كان القصد الاعتماد عليه فإنه يكون من الشرك الأكبر المنافي للإيمان، فالشرك الأصغر ينقّص الإيمان، وينقّص التّوحيد، أما الشرك الأكبر فإنه ينافي الإيمان وينافي التّوحيد.

أسئلة تقويمية

1- هل لبس الحلقة والخيط من الشرك ؟ وما الدليل على ذلك؟

2- ما معنى قول النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ-: « من تعلق تميمة فلا أتم الله له»؟

3- ما معنى قوله -عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ-: « من تعلق ودعة فلا ودع الله له»؟

4- هل تعليق الأحذية على السيارات والحجب على الأطفال لدفع العين من الشرك؟

5- ما نوع الشرك المذكور في حديث: « من تعلّق تَمِيمَة؛ فقد أشرك» هل الشرك الأكبر أم الشرك الأصغر؟



ما جاء في الرقى والتمائم

في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- « أنه كان مع رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في بعض أسفاره فأرسل «لاَ يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلادَةٌ مِنْ وَتَرٍ، أَوْ قِلادَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ» [1].

وعن ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: سمعت رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: « إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّمَائِمَ، وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ»[2]رواه أحمد وأبو داود.

« التمائم »: شيء يعلق على الأولاد من العين؛ لكن إذا كان المعلَّق من القرآن فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-.

و « الرقى »: هي التي تسمى العزائم، وخص منها الدليل ما خلا من الشرك رخص فيه رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من العين والحمة.

و « التولة »: شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته.

وعن عبد الله بن عُكَيم مرفوعا: « مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْه»[3] رواه أحمد والترمذي.

وروى أحمد عن رويفع قال: قال لي رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « يَا رُوَيْفِعُ، لَعَلَّ الْحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ، فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّهُ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا، أَوْ اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ، فَقَدْ بَرِئَ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[1].

---

[1] - البخاري: الجهاد والسير 3005 ، ومسلم: اللباس والزينة 2115 ، وأبو داود: الجهاد 2552 ، وأحمد 216/5 .

[2] - أبو داود: الطب 3883 ، وابن ماجه: الطب 3530 ، وأحمد 381/1 .

[3] - الترمذي: الطب 2072 .

وعن سعيد بن جبير قال: « من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة». رواه وكيع. وله عن إبراهيم قال: « كانوا يكرهون التمائم كلها، من القرآن وغير القرآن».

الشرح

هذا الدرس مكمِّلٌ للدرس الذي قبله، ففيه ذكر أنواع أخرى مكمِّلة لما ذُكر في الدرس الذي قبله.

قوله: « عن أبي بشير الأنصاري – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –» : هكذا كان مشهوراً بكُنْيته، ولم يُعرف له اسم –كما قال ابن عبد البر.

« أنه كان مع النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– في بعض أسفاره» لم يعين هذا السفر، قال الحافظ: «لم أقف على تعيينه».

« فأرسل رسولاً» أي: مندوباً.

« أن لا يبقيّن في رقبة بعير قلادة» « يبقيّن» مؤكّد بنون التوكيد الثقيلة، وقلادة فاعل. كانوا في الجاهلية يعلّقون القلائد على رقاب الإبل، يعتقدون أن ذلك يدفع عنها العين والضرر، والنبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أراد أن يزيل هذه العادة الجاهلية، ويقرر التّوحيد. والقلادة ما أحاط بالعنق.

و الـ« وَتَر» –بفتح الواو– المراد به: وَتَر القوس، والقوس آلة كانوا يرمون بها السهام. وكانوا في الجاهلية إذا اخْلَقّ الوَتَر أخذوه وعلّقوه على رقاب الدواب، وأبدلوه بوَتَر جديد، يعتقدون أن هذا الوَتَر القديم الذي استعمل ورُمي به أنه يدفع العين عن الإبل.

---

[1] – النسائي: الزينة 5067 ، وأبو داود: الطهارة 36 ، وأحمد 109/4 .

ففي الحديث دليل على منع هذا الشيء من أي نوع كان، سواء كان من وَتَر أو من غيره، ما دام أن المقصود منه عقيدة فاسدة، حتى ولو كان من السُّيور، أو من الخيوط، أو من الخرز، أو من غير ذلك، كل قلادة يُقصد بها هذا المقصد الشركي فهي ممنوعة.

أما القلائد التي لا يُقصد منها مقصد شركي، مثل قِلادِ الهَدْي الذي يُهدى للبيت العتيق فلا حرج فيها.

« إلاّ قُطِعت» هذا فيه إزالة المنكر، ولاسيّما إذا كان هذا المنكر في العقيدة، فإن إزالته متأكِّدة.

وفيه: أن الحاكم أو الإمام يرسل نوّاباً عنه في إزالة المنكر، وليس من شرط ذلك أن يباشره بنفسه.

الشاهد من الحديث:

تحريم عقد القلائد على الدواب، أو على الآدميين بقصد أن ذلك يدفع العين لأنه لا يدفع الضرر ولا يدفعه إلاَّ الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ-، وليست القلائد هي التي تدفع الضرر، أو تجلب النفع، وليست سبباً في ذلك وإنما هذا بيد الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [يونس].

﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [فاطر].

﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ

ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ [الزمر].وقوله عن ابن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: « إن الرُّقى والتّمائم والتوَلَة شرك».

سبب ذكر عبد الله بن مسعود لهذا الحديث: أنه رأى على امرأته زينب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- خيطاً في عنقها، قَالَ: مَا هَذَا الْخَيْطُ؟ قَالَتْ: قُلْتُ خَيْطٌ أُرْقِيَ لِي فِيهِ، قَالَتْ: فَأَخَذَهُ فَقَطَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ آلَ عَبْدِ اللهِ لَأَغْنِيَاءُ عَنِ الشِّرْكِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّمَائِمَ، وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ " قَالَتْ: فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَقُولُ هَذَا وَقَدْ كَانَتْ عَيْنِي تَقْذِفُ، فَكُنْتُ أَخْتَلِفُ إِلَى فُلَانٍ الْيَهُودِيِّ يَرْقِيهَا، وَكَانَ إِذَا رَقَاهَا سَكَنَتْ؟ قَالَ: إِنَّمَا ذَلِكَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ كَانَ يَنْخُسُهَا بِيَدِهِ، فَإِذَا رَقَيْتِهَا كَفَّ عَنْهَا، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكِ أَنْ تَقُولِي كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا "[1]

فهو لما قطع هذا الخيط، وأنكر على زوجته هذا الفعل؛ ذكر الدليل من سنة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « إن الرُّقى والتّمائم والتِّوَلَة شرك» وسيأتي تفسير هذه الثلاثة.

قال: « وعن عبد الله بن عُكيم مرفوعاً» عبد الله بن عُكيم أدرك النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، لكنه لم يثبت له سماع من النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ؛ فيكون تحديثه عن الرسول من باب المرسل، لأنه لم يسمع من النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ،

« من تعلّق شيئاً وُكِل إليه» « من تعلّق شيئاً» سواءً قلادة، أو تَمِيمَة، أو حِرْزاً من الحُرُوز، أو خيطاً، أو حلقة، يعني: علّق قلبه بشيء أيّ شيء، يظن أنه ينفع ويضر، « وُكِل إليه» وَكَلَه الله إلى ما تعلق به. وهذه عقوبة من الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وإهانة له من الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، لأن الله إذا تخلّى عنه وَوَكَلَه إلى غيره هلك.

---

[1] مسند أحمد 6/ 110

أما من توكّل على الله -عَزَّوَجَلَّ- وحده فإن الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ-يتولى أمره. أما من اعتقد بغيره فإنه يَكِلُه إليه ويتخلّى عنه، يَكِلُه إلى حلْقة من صُفْر، أو خيط، أو إلى تَمِيمَة، أو إلى وليّ من الأولياء، أو قبر من القبور، أو ضريح من الأضرحة، يَكِلُه إلى من اعتقد فيه.

فقوله: « من تعلّق شيئاً وُكِل إليه» قاعدة عامة، تعمّ كل شيء يعلّق الإنسان قلبه به من دون الله -عَزَّوَجَلَّ-؟ من بشر، أو حجر، أو شجر، أو قبر، أو حلْقة، أو خيط، أو تَمِيمَة، أو غير ذلك، أو جن، أو إنس.

ففي هذا وجوب التوكّل على الله، والنهي عن الاعتماد على غير الله في جلب خير أو دفع ضُر، والقرآن يقرّر هذا في آيات كثيرة.

معنى التمائم: « التّمائم شيء يعلِّقونه على الأولاد يتّقون به العين» ثم قال مفصِّلاً الحكم في هذا: « لكن إذا كان هذا المعلَّق من القرآن فقد رخّص فيه بعض السلف» يعني: إذا كانت التَمِيمَة مكتوبة من القرآن؛ فقد رخّص فيها بعض السّلف، مثل: عبد الله بن عمرو بن العاص - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- ، وعائشة، لأنها من القرآن، والتشافي بالقرآن ليس فيه محذور شركي، فهو كلام الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ-.

« وبعضهم» أي: بعض الصحابة، « لم يرخِّص فيه » حتى لو كان من القرآن، منهم: عبد الله بن مسعود- راوي الحديث-، وسيأتي الأثر عن إبراهيم أنه قال: « كانوا يكرهون التّمائم من القرآن ومن غير القرآن»، وإبراهيم النخعي تلميذ لابن مسعود.

هذا اختلاف السلف في تعليق التّمائم من القرآن، فقد اختلفوا في هذا على قولين: منهم من أجاز، نظراً لأن هذا من القرآن، وهو كلام الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ-، والتداوي بكتاب الله والاستشفاء بكتاب الله مشروع، ومنهم من منع هذا ولم يرخِّص فيه لعموم النهي عن التمائم.

وبناءً على ذلك اختلف الفقهاء من بعد الصحابة في هذه المسألة على قولين:

منهم من أجاز؛ أخذاً برأي من أجاز من الصحابة، ومنهم من منع.

والصحيح: الرأي الثاني وهو المنع، والشيخ عبد الرحمن بن حسن وقبله الشيخ سليمان بن عبد الله رجَّحا منعه، وذلك لثلاثة أمور:

الأمر الأول: عموم النهي، ولم يَرِد دليل يخصّص ذلك.

الأمر الثاني: سدّ الوسيلة المُفضية إلى الشرك، لأننا إذا أجزنا تعليق القرآن انفتح الباب لتعليق غيره.

الأمر الثالث: أن تعليق القرآن يعرِّضه للامتهان، لأنه يعلّق على الصبيان، والصبيان لا يتجنّبون النجاسة أو الدخول في مواضع القاذورات، وكذلك الجُهّال لا يحترمون القرآن كما ينبغي، ولا يتنّبهون لذلك، وما كان سبباً لتعريض القرآن للامتهان فهو محرّم.

والذين أجازوا- وهم أصحاب الرأي الأول- اشترطوا ثلاثة شروط:

الشرط الأول: أن تكون التَمِيمَة من القرآن.

الشرط الثاني: أن تكون مكتوبة باللفظ العربي، فلا تُكتب بلفظ أعجمي أو بخط لا يُقرأ

.

الشرط الثالث: أن يعتقد أن الشفاء من الله لا من هذه التَمِيمَة، وإنما هذه التَمِيمَة سبب فقط.

« والرُّقى: هي التي تُسمى العزائم» الرُّقى: جمع رقية، والرُّقْيَة: القراءة على المريض. ويسميها العوام العزيمة.

« وخصّ منها الدليل ما خلا من الشرك» أي: استثناه من التحريم فهناك أدلة تفصِّل بأنه إن كانت الرُّقْية من القرآن أو من الأدعية المباحة فإنها ليست بشرك، بدليل أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رخّص في الرُّقْية من العين ومن الحُمَة ،وكذلك النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَقى المرضى، ورُقي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ؛ رَقاه جبريل، وكذلك لما جاءوا إلى النبي

-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يسألونه قالوا: كنا في الجاهلية لنا رُقى نرقي بها وأدوية نتداوى بها، قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

«اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ»[1].

وقوله: « فقد رخص فيه رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من العين والحمة» فالرقية في القرآن استثنيت من الرقى الممنوعة بقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « إن الرقى والتمائم والتولة شرك»، فهي رخصة.

قوله: « والتِّوَلَة» (بكسر التاء وفتح الواو) : « شيء يصنعونه، يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته» « يزعمون» أي: يكذبون، والزعم: الكذب، قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ﴾ [النساء: 60].

يعني: يكذبون في قولهم أنهم آمنوا.

« أنه يحبِّب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته» هذا يسمونه: الصّرف والعطف، وهو سحر، قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾ [البقرة: 102].

فهو سحر يفرِّق ويَجْمع، لأنه عمل شيطاني، يعمل أشياء تنفِّر الإنسان من الإنسان، أو الرجل من زوجته، أو الزوجة من زوجها، وهو من عمل الشياطين.

وعن « رُوَيْفِع» هو رُوَيْفِع بن ثابت الأنصاري- رضي الله تعالى عنه- تولّى إمارة بُرْقة في عهد الخلفاء في مصر، وتوفي هناك - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- ، وقد طال عمره.

قال: « لعل الحياة ستطول بك» هذا إخبار من النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن رُوَيْفِعاً يعمّر، وقد عُمّر، ففيه: عَلَم من أعلام النبوة، وهو الإخبار عن شيء مستقبَل، ويقع كما أخبر به -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وهذا مما أطلعه الله تعالى عليه.

---

[1] رواه مسلم 2200 وأبو داود 3886 والبزار 2744 وابن حبان 6094

« فأخبر الناس» هذا فيه دليل على تبليغ العلم، ونشر العقيدة، والدعوة إليها، وإنكار الشرك، وأن الإنسان محمّل هذه الأمانة، لا يتخلى عنها، ويترك الناس يقعون في الشرك وفساد العقيدة، وهو ساكت، ثم يقول: اتركوا الناس مجتمعين، لا تفرقوا بين الناس، حاربوا الشيوعية وحاربوا المذاهب الهدّامة، واتركوا الشرك وهل هناك أشد من الشرك؟، الشرك هو أكبر المذاهب الهدّامة، وهذا القول يدسّه علينا الأعداء إما من اليهود والماسونية أو غيرهم، ويأخذه بعض المغرورين من شبابنا على أنه صحيح، وهو يقصد منه هدم الإسلام، وهدم العقيدة، لأنه إذا تُرك الشرك فسدت العقيدة.!

قوله: « أن من عقد لحيته» عقد اللحية اختلف العلماء في تفسيره على أقوال: القول الأول: من قال: عقد اللحية عادة عند الفُرس، أنهم كانوا عند الحروب يعقدون لحاهم تكبّراً وتجبّراً، ونحن قد نهينا عن التشبّه بالكفّار.

والقول الثاني: المراد به عقد اللحية في الصلاة، لأن هذا من العبث في الصلاة، والحركة في الصلاة، وهذا مكروه في الصلاة، لأنه يدل على عدم الخشوع.

القول الثالث: أن المراد بعقد اللحية ما يفعله أهل الترف من تجعيد لحاهم وتحسينها وكدّها، حتى تتجعّد، يقصدون بها الجمال، فهذا يكون من الترف، نعم لا بأس أن اللحية تصلح وأنها تُنظّف، وأنها تُكرم لكن لا يصل هذا إلى حد الإسراف.

« أو تقلد وَتَراً» يعني: جعل الوَتَر قلادة عليه، أو على دابته، أو على ولده من أجل أن يتّقي به العين والضرر، كما كانت الجاهلية تفعل.

وهذا محل الشاهد في الحديث، قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: « وإذا كان هذا فيمن تقلدوا وتراً، فكيف بمن تعلّق على الأموات يسألهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات؟!».

« أو استنجي» الاستنجاء: إزالة أثر الخارج من السبيلين.

« برجيع دابة» الرجيع روث الدواب، « أو عظم، فإن محمداً -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بريء منه» وهذا وعيد شديد يدل على تحريم هذا الفعل، وهو الاستجمار بروث الدواب والعظام، لأن هاتين المادتين طعام الجن وطعام دوابهم فلا يلوثهما عليهم.

قوله: « عن سعيد بن جبير قال: من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة» أي: كان كمن أعتق رقبة من الرِّق، والمناسبة أن اعتاق العبد فيه اعتاق من الرِّق، وقطع التَمِيمَة فيه إعتاق من الشرك، لأن الشرك رِقّ للشيطان بدل الرِّق للرحمن، ورحم الله الإمام ابن القيم حيث يقول:

هربوا من الرِّق الذي خلقوا له *** فبُلُوا برق النفس والشيطان

يعني: هم أرقاء لله، عبيد لله، لكن لما أشركوا به صاروا عبيداً للشيطان، وعبيداً للنفس والهوى، فالإنسان خلق لعبادة الله، فإذا تركها صار عبداً للشيطان، فهو عبد ولابد.

فالذي يزيل هذه الظاهرة الشركية عن مسلم يكون كمن أعتقه من الرِّق في الأجر والثواب.

وقوله: « يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن» أي: كان كبار التابعين من أصحاب ابن مسعود لا يفصِّلون في التّمائم، بل كانوا يكرهونها عموماً، كما سبق أن الراجح هو: تحريم تعليق التّمائم، ولو كانت من القرآن؛ من أجل الأمور الثلاثة التي ذكرناها هناك. وقوله: « يكرهون» أي يحرمون، لأن الكراهة عند السلف يريدون بها التحريم.



أسئلة تقويمية

1- ما معنى الوتر؟ وهل يجوز تعليقه على الدواب والسيارات والبيوت وغيرها؟ وما الدليل؟

2- ما معنى : « التمائم» و « الرقى» و « التولة» ؟

3- ما القول الراجح في تعليق التمائم؟ ولم؟

4- لماذا نهى النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن عقد اللحية وعن الاستنجاء برجيع الدواب؟



من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما

وقول الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠﴾ [النجم].

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سُبْحَانَ الله هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ} وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ.[1]

الشـرح

تبرك: التبرك: طلب البركة ورجاؤها واعتقادُها.

ونحوهما: ما أشبههما من بقعة أو مغارة أو قبر أو مشهد أو أثر.

قوله تعالى ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ﴾: أخبِروني عن هذه الأصنام هل نفعت أو ضرَّت.

﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠﴾ [النجم].

﴿ٱللَّٰتَ﴾ قُرِئَ بتخفيف التاء وقُرِئَ بتشديدها فعلى القراءة الأولى هي: اسم صخرةٍ بيضاء منقوشة عليها بيتٌ بالطائف وعلى القراءة الثانية: هي اسم فاعلٍ من لتَّ « لرجل كان يلِتُّ السويق للحاج»[2] فمات فعكفوا على قبره.

﴿وَٱلۡعُزَّىٰ﴾ :شجرةُ سمرٍ قد بني حولها وجعل لها أستارٌ بين مكة والطائف.

---

[1] سنن الترمذي ت بشار 4/ 45

[2] - أخرجه البخاري عن ابن عباس برقم « 4859».

﴿ وَمَنَوٰةَ ﴾: صنمٌ بالمشلل بين مكة والمدينة.

الثالثة الأخرى: ذمٌّ لها بالتأخر. أي المتأخرة الوضيعة المقدار.

ألكم الذكر: تجعلون لكم ما تحبُّون وهو الذكر.

وله الأنثى: تجعلون له الإناث حيثُ تقولون: الملائكة بنات الله.

المعنى الإجماليّ للآيات:

يحاجُّ تعالى المشركين في عبادتهم ما لا يعقِل من هذه الأوثان الثلاثة ماذا أجدتهم، ويوبخهم على جَورهم في القسمة حيث نزَّهوا أنفسهم عن الإناث وجعلوها لله. ثم يطالبهم بالبرهان على صحة عبادة هذه الأصنام ويبين أن الظن ورغبة النفوس لا يكونان حجةً على هذا المطلب. وإنما الحجة في ذلك ما جاءت به الرسلُ من البراهين الواضحة والحججِ القاطعة على وجوب عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام.

فالآيات: فيها تحريم التبرك بالأشجار والأحجار واعتباره شركاً، فإن عُبَّاد هذه الأصنام المذكورة إنما كانوا يعتقدون حصول البركة منها بتعظيمها ودعائها. فالتبرك بالقبور كالتبرك باللات. وبالأشجار والأحجار كالتبرك بالعزى ومناة.

ما يستفاد من الآيات:

1- أن التبرك بالأشجار والأحجار شرك.

2- مشروعية مجادلة المشركين لإبطال الشرك وتقرير التوحيد.

3- أن الحكم لا يثبُت إلا بدليل مما أنزل الله لا مجرد الظن وهوى النفس.

4- أن الله قد أقام الحجة بما أرسل من الرسل وأنزل من الكتب.

قوله: « حُدَثاءُ عهدٍ بكُفْرٍ»: قريبٌ عهدنا بالكفر.

يعكِفون: يقيمون عندها ويعظِّمونها ويتبركون بها.

ينوطون أسلحتهم: يعلِّقونها عليها للبركة.

أنواط: جمع نَوْطٍ: وهو مصدرٌ سُمِّي به المنوطُ، سمِّيت بذلك لكثرة ما يناط بها من السلاح لأجل التبرك.

اجعل لنا ذات أنواط: سألوه أن يجعل لهم مثلها.

الله أكبر: أجلُّ وأعظم صيغة تعجب.

السُّنن: بضمِّ السين: الطرق أي سلكتم كما سلك من قبلكم الطرق المذمومة.

إسرائيل: هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم الصلاة والسلام.

سُنن من كان قبلكم: بضم السين طرُقهم ويجوز فتح السين بمعنى طريقِهم.

المعنى الإجمالي للحديث:

يخبر أبو واقد عن واقعةٍ فيها عجبٌ وموعظة وهي أنهم غزوا مع رسول الله -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- قبيلة هوازن وكان دخولهم في الإسلام قريباً فخفي عليهم أمر الشرك. فلما رأوا ما يصنع المشركون من التبرك بالشجرة طلبوا من الرسول -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ - أن يجعل لهم شجرة مثلَها. فكبَّر النبي -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ - استنكاراً وتعظيماً لله وتعجُّباً من هذه المقالة. وأخبر أن هذه المقالة تشبه مقالة قوم موسى له لما رأوا من يعبد الأصنام: ﴿ ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ ﴾ [الأعراف].

وأن هذا جريانٌ على طريقتهم. ثم أخبر -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ - أن هذه الأمة ستتبع طريقة اليهود والنصارى وتسلك مناهجَهم وتفعل أفعالهم وهو خبرٌ معناه الذم والتحذير من هذا الفعل.

فالحديث: فيه دليلٌ على أن التبرك بالأشجار وغيرها شركٌ وتأليه مع الله.

ما يستفاد من الحديث:

1- أن التبرك بالأشجار شركٌ ومثلها الأحجار وغيرها.

2- أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده لا يُؤمن أن يكون في قلبِه بقيةٌ من

تلك العادة.

1- أن سبب عبادة الأصنام هو تعظيمُها والعكوفُ عندها والتبرك بها.

2- أن الإنسان قد يستحسن شيئاً يظنه يقربه إلى الله وهو يبعده عنه.

3- أنه ينبغي للمسلم أن يسبح ويكبر إذا سمع ما لا ينبغي أن يقال في الدين وعند التعجب.

4- الإخبار عن وقوع الشرك في هذه الأمة وقد وقع.

5- عَلَم من أعلام نبوته -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حيثُ وقع الشرك في هذه الأمة كما أخبر -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

6- النهيُ عن التشبه بأهل الجاهلية واليهود والنصارى، إلا ما دلّ الدليل على أنه من ديننا.

7- أن الاعتبار في الأحكام بالمعاني لا بالأسماء، لأن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جعل طلبتهم كطلبة بني إسرائيل ولم يلتفت إلى كونهم سمُّوها ذات أنواط.

❁❁❁❁❁❁

أسئلة تقويمية

1- ما معنى « اللات» و « العزى» و « مناة » ؟

2- اذكر الفوائد المستنبطة من الآيات؟

3- ما معنى التبرك؟ وما الفوائد المستنبطة من حديث أبي واقد الليثي؟

❁❁❁❁❁❁

ما جاء في الذبح لغير الله

وقـــول الله تعـــالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام].

وقوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾ [الكوثر].

عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسِرُّ إِلَيْكَ، قَالَ: فَغَضِبَ، وَقَالَ: مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسِرُّ إِلَيَّ شَيْئًا يَكْتُمُهُ النَّاسَ، غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ حَدَّثَنِي بِكَلِمَاتٍ أَرْبَعٍ، قَالَ: فَقَالَ: مَا هُنَّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: قَالَ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ»رواه مسلم[1].

عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ قَالَ: «دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ» قَالُوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: " مَرَّ رَجُلَانِ عَلَى قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ لَا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّى يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا، فَقَالُوا لِأَحَدِهِمَا: قَرِّبْ قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ فَقَالُوا لَهُ: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا فَقَرَّبَ ذُبَابًا، فَخَلَّوْا سَبِيلَهُ " قَالَ: " فَدَخَلَ النَّارَ، وَقَالُوا لِلْآخَرِ: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا قَالَ: مَا كُنْتُ لِأُقَرِّبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ " قَالَ: «فَضَرَبُوا عُنُقَهُ» قَالَ: «فَدَخَلَ الْجَنَّةَ» رواه أحمد[2]

---

[1] صحيح مسلم 3/ 1567

[2] الزهد لأحمد بن حنبل ص: 17

الشرح

فقوله تعالى: ﴿قُلْ﴾ هذا أمر من الله جل وعلا لنبيه محمد -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- أن يُعلن للناس، ليس لناس وقته فقط، بل للناس جميعاً إلى أن تقوم الساعة، وليس لناس بلده، بل لناس العالم:

﴿إِنَّ صَلَاتِي﴾ الصلاة في الشرع يُراد بها: العبادة المبتدئة بالتكبير المختتمة بالتسليم، التي تشتمل على عبادات قلبيّة وقوليّة وعملية، فالصلاة تشتمل على أنواع العبادة في القلب: من الخشوع، والخشية، والإقبال على الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ- ، وباللسان: من التكبير، والتحميد، والثناء على الله، وتلاوة كتابه الكريم، ومناجاة الرب -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ- ، وبالجوارح: من القيام، والرّكوع، والسجود، والجلوس. فالصلاة عبادة عظيمة، يجتمع فيها ما لا يجتمع في غيرها من أنواع العبادات، ولذلك جعلها الله عمود الإسلام، وجعلها الركن الثاني من أركان الإسلام.

﴿وَنُسُكِي﴾ النُّسُك المُراد به: ما يذبح من بهيمة الأنعام على وجه التقرّب والعبادة، كهَدْي التمتُّع والقِران، وهَدْي التطوُّع، وهَدْي الجُبران، والأضاحي، والعقيقة، هذه كلها تُسمى نُسُكاً، فما ذُبح من بهيمة الأنعام على وجه التقرّب إلى الله تعالى بذبحه، فهو النُّسُك.

وكان الذبح على وجه التقرُّب موجوداً في الجاهلية، كانوا يذبحون للأصنام، ويذبحون للجن، ويذبحون للكواكب، يذبحون لغير الله -عَزَّوَجَلَّ-،

فالنبي -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- بيّن أن دينه مخالف لدين المشركين، فالمشركون يذبحون لغير الله، والنبي -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- ومَن اتبعه يذبحون لله وحده لا شريك له، كما أنهم لا يصلُّون إلاَّ لله فكذلك لا يذبحون إلاَّ لله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ- ، وقَرْن النُّسُك بالصلاة يدلّ على أنه عبادة

عظيمة، لا يجوز صرفها لغير الله، والنسك قد تساهل فيه كثير من الناس فصاروا يذبحون للجن طاعة للمُشَعْوِذِين من أجل العلاج بزعمهم.

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام].

﴿وَمَحْيَايَ ﴾: ما أحيا عليه في عمري من العبادة كله لله -عَزَّوَجَلَّ-.

﴿وَمَمَاتِي ﴾ :ما أموت عليه- أيضاً- لله -عَزَّوَجَلَّ- ، فيموت على التّوحيد، فمعنى الآية: أنه يحيا على التّوحيد، ويموت على التّوحيد، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾ في ذلك وفي سائر أنواع العبادة

﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الرب هو: المالك ، والعالمين جمع عالَم، وهو: ما سوى الله -عَزَّوَجَلَّ- من المخلوقات، فكل المخلوقات ربها واحد، هو الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ-، لكن قد يُقال لمالك الشيء: ربه ، مثل: رب البيت، رب الحاجة، رب السيارة، رب الدراهم، وهذا مقيّد، أما إذا قلت الرب، أو رب العالمين ، فهذا لا يكون إلاّ لله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ-.

قال: ﴿ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ ﴾ أمرني ربي -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ- ، فدلّ على أن العبادات توقيفيّة، لا يصلح منها شيء إلاّ بأمر الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ-.

ثم قال: ﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ أي: من هذه الأمة ، فالأوليّة هنا نِسْبِيَّة ، وإلاّ فالرسل والمؤمنون من قبل النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- كلهم مسلمون، بمعنى أنهم مخلصون العبادة لله -عَزَّوَجَلَّ-.

والإسلام هو الاستسلام لله بالتّوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك وأهله، هذا هو الإسلام، وهذا دين جميع الرسل- عليهم الصلاة والسلام، فقوله: « { ﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ أي: من هذه الأمة.

الآية تدلّ على أن الرسول أول من يبادر إلى امتثال أمر الله -سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ- ، وأنه لا يتأخر عن امتثال أمر الله -سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ-، فكذلك يجب على المسلم أن لا يتأخر عن الامتثال والمبادرة إذا أمره الله بشيء يكون من أول من يفعل ذلك، فمن أمر بشيء من المعروف والطاعة، فإنه يجب عليه أن يكون أول من يفعله.

قال: « وقوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ ﴾ [الكوثر].

هذا أمر من الله لنبيه أن يُخلص الصلاة لله -عَزَّوَجَلَّ- ، وأن يخلص النحر- وهو: الذبح- لله -عَزَّوَجَلَّ-.

قالوا: وهذا شكر لله -سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ- لما أعطاه الكوثر، فإن الله -سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ- أمره أن يشكره على هذه النعمة العظيمة، بأن يصلِّي ويذبح لله -عَزَّوَجَلَّ- ، ولهذا ربط بها قبله بفاء السببيّة.

والكوثر نهر في الجنة، وقيل: هو الخير الكثير، فهذا من باب الشكر لله -سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ- على هذه النعمة، على إعطائه الكوثر.

الشاهد من الآية:

﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾ ، ومن الآية: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ ﴾ [الكوثر].

أن الله جل وعلا قَرَن النحر بالصلاة في الآيتين، فدلّ على أنه عبادة لا يجوز صرفها لغير الله.

قوله: « بأربع كلمات» يعني: أربع جُمَل، فالكلمات المراد بها الجمل.

وقوله: « لعن الله» اللعن معناه: الطرد والإبعاد عن رحمة الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ-.

« من ذبح لغير الله» أي: تقرَّب بالذبح لغير الله من الأصنام، ومن الأضرحة، ومن الأشجار والأحجار ، والجن ، وغير ذلك. فكل من تقرَّب بالذبح إلى غير الله فإنه قد لعنه الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ- ، وهذا يدلّ على شدّة هذه الجريمة ، فإن الله جل وعلا لا يلعن إلا على جريمة خطيرة، فدلّ على شدة جريمة من ذبح لغير الله ، أيًّا كان هذا الذبح كثيراً أو قليلاً جليلاً أو حقيراً.

وذلك بأن يذكر على الذبيحة:

غير اسم الله أو يكون في نيّته وقلبه واعتقاده أنه يتقرّب بهذه الذبيحة إلى غير الله، أو يريد بهذه الذبيحة دفع شر هذا المذبوح له، فيذبح للجن من أجل دفع شرهم، وخوفاً منهم، أو يذبح للصنم من أجل أن الصنم يجلب له الخير، كما يفعل بعض الجُهّال؛ إذا تأخر المطر ذهبوا بِثَوْر أو غيره من الحيوان وذبحوه في مكان معيّن، أو عند قبر يريدون نزول المطر، وقد يُبتلون فينزل المطر، وتحصل لهم حاجتهم ابتلاءً وامتحاناً من الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ- ، وهذا لا يدلّ على جواز ما فعلوه، من الشرك والتقرّب لغير الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ-

ويدخل في الذبح لغير الله أصناف:

1- ما ذُبح لغير الله على وجه التقرّب، ولو قيل عليه: بسم الله، وهذا حرام بإجماع المسلمين، وهو شرك بالله -عَزَّوَجَلَّ-.

2- وما ذُبح للّحم وسمي عليه بغير اسم الله.

3- وما ذُبح من أجل التحيّة والتعظيم، مثل: ما يُذبح للملوك والرؤساء عند قدومهم إذا نزل من الطائرة، أو من السيارة، أو من الدابة؛ ذبحوا عند نزوله.

4- وما يُذبح عند ابتداء المشروع، فبعض الجُهّال، أو بعض الذين لا يُبالون، إذا أنشؤوا مشروعاً- مصنعاً أو غير ذلك- يذبحون عند تحريك الآلة.

5- ما ذُبح عند انحباس المطر في مكان معين أو عند قبر لأجل نزول المطر
6- وما يُذبح عند أول نزول البيت خوفاً من الجن، وهذا شرك، لأنه مما ذُبح لغير الله - عَزَّوَجَلَّ-.

أما إذا ذبح ذبيحة عند نزول البيت من باب الفرح والسرور، ودعوة الجيران والأقارب، فهذا لا بأس به.

قوله: « لعن الله من لعن والديه» إن الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ- قَرَن حق الوالدين بحقه -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [النساء: 36].

فحق الوالدين يأتي دائماً بعد حق الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ- ، كذلك النهي عن الإساءة إلى الوالدين تأتي بعد الإساءة في حق الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ- كما في حديث السبع الموبقات. فالذبح لغير الله، إساءة في حق الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ- ، ثم ذكر تنقّص الوالدين والإساءة إليهم بلعنهم، فلا يجوز للولد أن يشتم والديه، وهذا من الكبائر، لأن الرسول -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- لعن من فعله، واللعن على الشيء يدل على أنه كبيرة، سواء لعنهما بالمباشرة أو بالتسبّب، فبعض الناس لا يلعن والديه مباشرة، لكن يتسبّب في ذلك، بأن يلعن والدي رجل آخر، ثم يرد عليه بالمثل، فيكون متسبّباً في لعن والديه، وقد قال النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-: «مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ»[1]

وقوله: « لعن الله من آوى محدثاً» آوى معناها: حَمَى، فالإيواء معناه: الحَمَى والدفع. والمُحْدِث: هو الذي فعل جُرماً يستحق عليه إقامة الحد، فيأتي واحد من الناس ويَحُول دون هذا المجرم ودون إقامة الحد عليه، بجاهه، أو بقوته وسلطانه، أو بجنوده، أو بغير ذلك،

[1] صحيح مسلم 1/ 92

فيمنع هذا المجرم من أن يقام عليه الحد. وهذا لعنه رسول الله. ثم قال -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-: « لعن الله من غيّر منار الأرض» المنار: جمع منارة، وهي: العلامة. غيّر منار الأرض: منارُ الأرض هي المراسيم التي تفرِّق بين ملكك وملك جارك، وتغييرها يكون بتقديمها أو تأخيرها.

قال: « وعن طارق بن شهاب» طارق بن شهاب البَجَلي الأَحْمَسي، صحابي جليل، أدرك النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- ولكنه لم يسمع من الرسول -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- ، فيكون حديثه عن الرسول مرسل صحابي، ومراسيل الصحابة مقبولة من غير شك، لأن الصحابي لا يرسل إلاّ عن صحابي مثله، فمراسيل الصحابة ليست كمراسيل غيرهم لأنهم كلهم عدول.

« دخل الجنة رجل في ذباب» هذا حديث عجيب، ولذلك تعجّب منه الصحابة، والرسول -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- ساقه ولم يبيّنه من أجل أن ينتبهوا ويتشوقوا لمعرفة معناه.

« قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: « مرّ رجلان على قوم » يعني: من الأمم السابقة. لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرِّب له شيئاً، فقالوا لأحدهما: قرِّب. قال: ليس عندي شيء أقرِّبه، قالوا به: قرِّب ولو ذباباً. فقرّب ذباباً، فخلَّوْ سبيله، فدخل النار. وقالوا للآخر: قرِّب. فقال: ما كنت لأقرِّب لأحد شيئاً دون الله -عَزَّوَجَلَّ-. فضربوا عنقه، فدخل الجنة» رواه أحمد.

المعنى الإجمالي للحديث:

يخبر النبي-صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ -عن خطورة الشرك وشناعته فيحّث أصحابه ويبدأ حديثه ببداية تجعل النفوس تستغرب وتتطلع إلى سياق الحديث « دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب» شيء يسير سبّب أمراً خطيراً، وأوجب السؤال عن تفصيله، وهنا يفصل فيقول: إن رجلين –يظهر أنهما من بني إسرائيل- أرادا العبور عن مكان يحل في ساحته صنم يفرض على من أراد تجاوزه أن يذبح له تقرباً إليه وتعظيماً له، فطلب عبّاد ذلك

الصنم من الرجلين التمشي على هذا النظام الشركي، فأما أحدهما فاعتذر بالعدم فقنعوا منه بأيسر شيء، لأن مقصودهم حصول الموافقة على الشرك، فذبح للصنم ذباباً فتركوه يمرّ فدخل بسبب فعله هذا نار جهنم؛ لأنه فعل الشرك ووافقهم عليه وطلبوا من الآخر أن يقرّب للصنم فاعتذر بأن هذا شرك ولا يمكن أن يفعله فقتلوه فدخل الجنة؛ لامتناعه من الشرك.

فالحديث يدل على أن الذبح عبادة، وأن صرفه لغير الله شرك.

ما يستفاد من الحديث:

1- بيان خطورة الشرك ولو في شيء قليل.

2- أن الشرك يوجب دخول النار، وأن التوحيد يوجب دخول الجنة.

3- أن الإنسان قد يقع في الشرك وهو لا يدري أنه الشرك الذي يوجب النار.

4- التحذير من الذنوب وإن كانت صغيرة في الحسبان.

5- أن هذا الرجل دخل النار بسببٍ لم يقصدْه ابتداءً وإنما فعله تخلُّصاً من شر أهل الصنم.

6- أن المسلم إذا فعل الشرك أبطل إسلامه ودخل النار؛ لأن هذا الرجل كان مسلماً وإلا لم يقل: « دخل النار في ذباب».

7- أن المعتبر عمل القلب وإن صغر عمل الجوارح وقل.

8- أن الذبح عبادة وصرفه لغير الله شركٌ أكبر.

9- فضل التوحيد وعظيم ثمرته.

10- فضيلة الصبر على الحق.

❁❁❁❁❁❁

أسئلة تقويمية

1- ما الدليل على أن الذبح عبادة وصرفه لغير الله شرك ؟

2- ما معنى اللعن؟

3- ما المقصود بتغير منار الأرض ؟

4- ما معنى قوله: « لعن الله من آوى محدثاً» ؟

5- ما الفوائد المستنبطة من حديث طارق بن شهاب؟



لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

وقــول الله تعــالى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًاۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [التوبة].

عن ثابت بن الضحاك - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- قال: نَذَرَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟»، قَالُوا: لَا، قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهَّ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ»[1] رواه أبو داود. وإسناده على شرطهما.

الشــرح

قال تعالى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًاۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [التوبة].

المعنى الإجمالي للآية:

ينهى الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ- رسوله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - عن الصلاة في مسجد الضرار الذي بناه المنافقون مضارة لمسجد قباء وكفراً بالله ورسوله وطلبوا من الرسول – صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ – أن يصلي فيه؛ ليتخذوا من ذلك حجة يبررون بها عملهم ويسترون بها باطلهم فوعدهم –

---

[1] - أبو داود: الأيمان والنذور 3313 .

صَلَّىٰاللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- أن يفعل ما طلبوا ولم يعلم قصدهم السيء، فنهاه الله عن ذلك وحثه على الصلاة في مسجد قباء الذي بُني على طاعة الله ورسوله أو في مسجده – صَلَّىٰاللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ – على اختلافٍ بين المفسرين في ذلك، ثم أثنى على أهل ذلك المسجد بتطهّرهم من الشرك والنجاسات، والله يحب مَن هذه صفته.

وجه الاستدلال من الآية : هي قياس الأمكنة المعدة للذبح لغير الله على المسجد الذي أُعد لمعصية الله في منع عبادة الله فيه، فكما أن هذا المسجد لا تجوز الصلاة فيه لله، فكذلك هذا الموضع الذي أُعد للذبح فيه لغير الله لا يجوز الذبح فيه له -سُبۡحَانَهُوَتَعَالَىٰ-.

ما يستفاد من الآيات:

1- منع الذبح لله في المواضع المعدة للذبح لغيره، قياساً على منع الصلاة في المسجد المؤسس على معصية الله.

2- استحباب الصلاة مع الجماعة الصالحين المتنزهين عن ملابسة القاذورات.

3- إثبات المحبة لله على الوجه اللائق به -سُبۡحَانَهُوَتَعَالَىٰ- كسائر صفاته.

4- الحث على إسباغ الوضوء والتطهر من النجاسات.

5- أن النية تؤثر في البقاع.

6- مشروعية سد الذرائع المفضية إلى الشرك.

وقوله: عن ثابت بن الضحاك - رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ- قال: « نذر رجل أن ينحر إبلا ببوانة، فسأل النبي -صَلَّىٰاللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- فقال: هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؟ قالوا: لا. قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا. فقال رسول الله -صَلَّىٰاللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ-: أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم»

نذر: النذر لغة الإيجاب، وشرعاً هو أن يلزم الإنسان نفسه بشيء من العبادات لم يكن لازماً عليه شرعاً.

بوانة: هضبةٌ من وراء ينبع وينبع مكان قريب من المدينة النبوية.

وثن: الوثن: كل ما عُبد من دون الله من قبر وغيره.

عيد: العيد: اسمٌ لما يعود من الاجتماع على وجهٍ معتادٍ.

المعنى الإجمالي للحديث:

يذكر الراوي أن رجلاً التزم لربه أن ينحر إبلاً في موضع معين على وجه الطاعة والقربة، وجاء ليسأل النبي –-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عن التنفيذ فاستفصل النبي – -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن ذلك المكان هل سبق أن وُجد فيه شيءٌ من معبودات المشركين أو سبق أن المشركين يعظمونه ويجتمعون فيه فلما علم –-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بخلوّ هذا المكان من تلك المحاذير أفتى بتنفيذ النذر، ثم بين –-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - النذر الذي لا يجوز الوفاء به، وهو ما كان المنذور فيه معصية لله أو لا يدخل تحت ملك الناذر.

فالحديث: فيه المنع من الذبح لله في المكان الذي كان فيه وثنٌ من أوثان الجاهلية أو فيه عيدٌ من أعيادهم –ولو بعد زواله-.

ما يستفاد من الحديث:

1 – المنع من الوفاء بالنذر إذا كان في المكان الذي عُين له وثنٌ ولو بعد زواله.

2 – المنع من الوفاء بالنذر بمكان عيدِ الجاهلية ولو بعد زواله.

3 – استفصال المفتي من المستفتي قبل الفتوى.

4 – سد الذريعة المفضية إلى الشرك.

5 – ترك مشابهة المشركين في عبادتهم وأعيادهم وإن كان لا يُقصد ذلك.

6 – أن الذبح لله في المكان الذي يذبح فيه المشركون أو يتخذونه محلاً لعيدهم معصية.

7 – أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به.

8 – أن النذر الذي لا يملكه الناذِر – كأن قال: لله عليَّ أن أعتق عبد فلان. لا وفاء له.

9- وجوب الوفاء بالنذر الخالي من المعصية الداخل تحت ملك الناذر.

10- أن النذر عبادة لا يجوز صرفه لغير الله.

أسئلة تقويمية

1- هل يجوز الذبح بمكان كان يذبح فيه لغير الله؟ وما الدليل؟

2- عرف النذر لغة وشرعاً؟

3- ما معنى: «الوثن» و «عيد» ؟

4- ما الفوائد المستنبطة من حديث ثابت بن الضحاك؟



من الشرك: النذر لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ٧ ﴾ [الإنسان].

وقولـــــه: ﴿ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ ٢٧٠ ﴾ [البقرة].

وفي الصحيح عن عائشة -رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا-: أن رسول الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- قال: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَّ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلاَ يَعْصِهِ»[1].

الشـــرح

من الشرك: أي الأكبر.

النذر لغير الله: لأنه عبادة. وصرف العبادة لغير الله شرك. والنذر: مصدر نذر ينذُر أوجب على نفسه شيئاً لم يكن واجباً عليه شرعاً تعظيماً للمنذور له. وأصله في اللغة والإيجاب.

يوفون بالنذر: يتممون ما أوجبوا على أنفسهم من الطاعات لله.

ما: شرطيةٌ، ويجوز أن تكون موصولة.

أنفقتم من نفقة: يشمل كل صدقة مقبولة وغير مقبولة.

أو نذرتم من نذر: يشمل كل نذر مقبول وغير مقبول.

فإن الله يعلمه: أي فيجازيكم عليه، ففيه معنى الوعد والوعيد.

---

[1] صحيح البخاري 8/ 142

المعنى الإجمالي للآيتين:

أن الله يمدح الذين يتعبدون له بما أوجبوه على أنفسهم من الطاعات. كما أنه يخبر -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أنه يعلم كل صدقة تصدقنا بها وكل عبادة التزمناها له أو لغيره وسيجازي كلاً على حسب نيته وقصده.

الشاهد من الآيتين:

أنهما يدلان على أن النذر عبادةٌ حيث مدح الموفين به، وهو لا يمدح إلا على فعل مأمور أو ترك محظور، كما أنه أخبر أنه يعلم ما يصدر منا من نفقات ونذور، وسيجازينا على ذلك، فدلَّ ذلك على أن النذر عبادةٌ وما كان عبادةً فصرفُه لغير الله شرك.

ما يستفاد من الآيتين:

1- أن النذر عبادة فيكون صرفه لغير الله شركاً أكبر.

2- إثبات علم الله تعالى – بكل شيء.

3- إثبات الجزاء على الأعمال.

4- الحث على الوفاء بالنذر.

حديث عائشة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا-: « من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه» .

فليطعه: أي ليفعل ما نذره من طاعته.

فلا يعصه: أي فلا يفعل ما نذره من المعصية.

المعنى الإجمالي للحديث:

أن النبي –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يأمر من صدر منه نذرُ طاعةٍ أن يوفي بنذره: كمن نذر صلاةً أو صدقة أو غير ذلك، وينهى من صدر منه نذر معصية عن تنفيذ نذره: كمن نذر الذبح لغير الله أو الصلاة عند القبور أو السفر لزيارتها أو غير ذلك من المعاصي.

الشاهد من الحديث:

أنه دليلٌ على أن النذر يكون طاعةً ويكون معصيةً، فدلّ على أنه عبادة؛ فمن نذر لغير الله فقد أشرك به في عبادته.

ما يستفاد من الحديث:

1- أن النذر عبادة، فصرفه لغير الله شرك.

2- وجوب الوفاء بنذر الطاعة.

3- تحريم الوفاء بنذر المعصية



أسئلة تقويمية

1- ما الدليل على أن النذر عبادة؟

2- النذر لغير الله شرك أكبر وضح ذلك..؟



من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

وقول الله تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [يونس].

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [العنكبوت].

وقوله: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الأحقاف].

وقوله: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل].

وروى الطبراني بإسناده « أنه كان في زمن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قُومُوا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي، إِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -»[1].

[1] مجمع الزوائد ومنبع الفوائد 10/ 159

الشـرح

هذا نوع من أنواع الشرك المنافي للتوحيد وهو أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيرَه.

أن يستغيث: الاستغاثة طلبُ الغوث وهو إزالة الشدة.

أو يدعو: الفرق بين الاستغاثة والدعاء: أن الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب. وأما الدعاء فيكون من المكروب وغيره.

المعنى الإجمالي للآية:

ينهى الله نبيه أن يدعو أحداً من سائر المخلوقين العاجزين عن إيصال النفع ودفع الضر، ثم يبين له حكمه لو فُرض أن دعا غير الله بأنه يكون حينئذ من المشركين، وهذا النهي عام لجميع الأمة.

الشاهد من الآية :

أن فيها النهي عن دعاء غير الله،وأنه شركٌ ينافي التوحيد.

ما يستفاد من الآية:

1- أن دعاء غير الله شركٌ أكبر.

2- أن أصلح الناس لو دعا غير الله صار من الظالمين أي المشركين فكيف بغيره.

3- بيان عجزِ آلهة المشركين وبطلان عبادتها.

وقولـــه: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٧ ﴾ [يونس].

المعنى الإجمالي للآية:

يخبر تعالى أنه المتفرد بالملك والقهر والعطاء والمنع والضر والنفع دون ما سواه، فيلزم من ذلك أن يكون هو المدعو وحده المعبود وحده دون غيره ممن لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فضلاً عن أن يملكهما لغيره.

الشاهد من الآية:

أن فيها بيانَ استحقاق الله للعبادة بالدعاء ونحوه، وأن دعاء غيره شركٌ لأنه لا ينفع ولا يضر.

ما يستفاد منها:

1- وجوب إفراد الله تعالى بتوحيد الألوهية لتفرده بتوحيد الربوبية.

2- بطلان دعاء غير الله لعجزه عن نفع من دعاه ودفع الضر عنه.

3- إثبات المشيئة لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-.

4- إثبات صفتي المغفرة والرحمة لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- على ما يليق بجلاله.

وقوله: ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ١٧﴾ [العنكبوت].

المعنى الإجمالي للآية:

يأمر الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- بطلب الرزق منه وحده لا من الأصنام والأوثان، وإفرادِه بالعبادة والاعتراف بنعمه التي أسداها على عباده وصرْفِها في طاعته والابتعاد عن معصيته ثم يخبر أن المصير إليه فيجازي كل عاملٍ بعمله فيجب على العبد أن يحسب لذلك حسابَه.

الشاهد من الآية:

أن فيها وجوب إفراد الله بالدعاء والعبادة والرد على المشركين الذين يعبدون غيره.

ما يستفاد منها :

1- وجوب دعاء الله وحده وطلب الرزق منه.

2- وجوب إفراد الله بجميع أنواع العبادة.

3- وجوب شكر الله على نعمه.

4- إثبات البعث والجزاء.

5- أنه لا تنافي بين طلب الرزق والاكتساب وعبادة الله وأن الإسلام فيه خير الدين والدنيا.

وقولـــــه: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦ ﴾ [الأحقاف].

المعنى الإجمالي للآيتين:

أن الله تعالى حكم بأنه لا أضل ممن دعا غير الله من المخلوقين ممن لا يقدر على إجابة دعوته في الدنيا، ولا يشعر بدعاء من دعاه وإذا قامت القيامة وجُمع الناس عادى من دعاه وتبرأ منه، فليس هذا المشركُ إلا في نكد في الدارين، لا يحصل على إجابةٍ في الدنيا وتجحد عبادته في الآخرة أحوج ما يكون إليها.

الشاهد من الآيتين:

أن فيهما الحكم على أن من دعا غير الله بأنه أضل الضالين وأن الدعاء عبادةٌ فمن صرفه لغير الله فهو مشرك.

وقوله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢ ﴾ [النمل].

المعنى الإجمالي للآية:

يحتج تعالى على المشركين في اتخاذهم الشفعاء من دونه بما قد علموه وأقروا به من إجابة الله لهم عندما يدعونه في حال الشدة وكشفه السوء النازل بهم وجعْلِهم خلفاء في الأرض بعد أمواتهم، فإذا كانت آلهتهم لا تفعل شيئاً من هذه الأمور فكيف بمن يعبدونها مع الله. ولكنهم لا يتذكرون نعم الله عليهم إلا تذكراً قليلاً لا يورث خشية الله ولذلك وقعوا في الشرك.

الشاهد من الآية:

أن فيها بطلان الاستغاثة بغير الله، لأنه لا يجيب المضطر ويكشف السوء النازل ويحيي ويميت سواه.

ما يستفاد من الآية:

1- بطلان الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

2- أن المشركين مقرّون بتوحيد الربوبية ولم يُدخلهم ذلك في الإسلام.

3- الاستدلال على توحيد الإلهية بتوحيد الربوبية.

4- الاحتجاج على المشركين بما أقرّوا به على ما جحدوه.

وروى الطبراني بإسناده « أنه كان في زمن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قُومُوا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي، إِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ - عَزَّ وَجَلَّ -»[1].

المنافقُ: هو عبد الله بن أُبي بن سلول رأس المنافقين.

والنفاق هنا: إظهار الإسلام وإخفاء الكفر.

نستغيث برسول الله: نطلب منه كفَّ هذا المنافق عن الأذى.

---

[1] مجمع الزوائد ومنبع الفوائد 10/ 159

إنه لا يستغاث بي: كره -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يستعمل هذا اللفظ في حقِّه تأدباً مع الله.

المعنى الإجمالي للحديث:

لما قوِيَ الإسلام كان هناك صنفٌ من الكفار رأوا الدخولَ في الإسلام ظاهراً والبقاء على الكفر باطناً سُمُّوا بالمنافقين، وكان يصدر منهم من الأقوال والأفعال ما يضايق المسلمين ومن ذلك ما حصل من هذا الرجل حتى طلب بعض الصحابة من النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كفه وزجره. والنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقدر على ذلك، لكن لما كانت الصيغة التي تقدَّموا بها إليه فيها إساءة أدب مع الله تعالى –ما ينبغي أن تقال- استنكرها النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تعليماً للصحابة وسداً لذريعة الشرك وحمايةً للتوحيد.

فالحديث: فيه إنكارَ النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الاستغاثة بغير الله.

ما يستفاد من الحديث:

1- أنه لا يستغاث بالنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وغيرُه من باب أولى.

2- الإرشاد إلى حسن اللفظ وحماية التوحيد.

3- سدّ الطرق المفضية إلى الشرك.

4- مشروعية الصبر على الأذى في الله.

5- ذمّ النفاق.

6- تحريم أذية المؤمنين؛ لأنها من فعل المنافقين.



أسئلة تقويمية

1- ما معنى الاستغاثة؟

2- ما الفرق بين الاستغاثة والدعاء؟

3- هل تجوز الاستغاثة بغير الله؟ وما الدليل؟



ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟

في الصحيح عن عائشة: « أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ، ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الحَبَشَةِ يُقَالُ لَهَا مَارِيَةُ، فَذَكَرَتْ لَهُ مَا رَأَتْ فِيهَا مِنَ الصُّوَرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُولَئِكَ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ العَبْدُ الصَّالِحُ، أَوِ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ» [1].

فهؤلاء جمعوا بين فتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل.

ولهما، عنها، قالت: « لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا »[2] أخرجاه.

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»[3]. فقد نهى عنه في آخر حياته. ثم إنه لعن – وهو في السياق – من فعله. والصلاة عندها

---

[1] – البخاري: الصلاة 434 ، ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة 528 ، والنسائي: المساجد 704 ، وأحمد 51/6 .

[2] – البخاري: الصلاة 436 ، ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة 531 ، والنسائي: المساجد 703 ، وأحمد 218/1، 34/6، 121/6، 146/6، 274/6 ، والدارمي: الصلاة 1403 .

[3] – مسلم: المساجد ومواضع الصلاة 532 .

من ذلك وإن لم يبن مسجد، وهو معنى قولها: « خُشي أن يُتخذ مسجدا»[1]، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدا، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدا، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا، كما قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَيِّبَةً طَهُورًا وَمَسْجِدًا»[2].

ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- مرفوعا: " إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَمَنْ يَتَّخِذُ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ "[3] ورواه أبو حاتم في صحيحه.

الشـرح

هذا الدرس فيه بيان أن عبادة الله عند القبر وسيلةٌ إلى الشرك المنافي للتوحيد.

المعنى الإجمالي للحديث:

أن أمّ سلمة وصفت عند النبي --صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو في مرض الموت –ما شاهدته في معبد - الكنيسة- النصارى من صور الآدميّين. فبين --صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - السبب الذي من أجله اتخذوا هذه الصور، وهو الغلو في تعظيم الصالحين، مما أدى بهم إلى بناء المساجد على قبورهم ونصب صورهم فيها، ثم بيّن حكم من فعل ذلك بأنهم شرار الناس؛ لأنهم جمعوا بين محذورين في هذا الصنيع هما: فتنة القبور باتخاذها مساجد، وفتنة تعظيم التماثيل مما يؤدي إلى الشرك.

---

1 - البخاري: الجنائز 1390 ، ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة 531 ، والنسائي: المساجد 703 ، وأحمد 218/1، 34/6، 121/6، 146/6، 255/6 ، والدارمي: الصلاة 1403 .

2 - البخاري: التيمم 335 ، ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة 521 ، والنسائي: الغسل والتيمم 432 والمساجد 736 ، وأحمد 304/3 ، والدارمي: الصلاة 1389 .

3 - مسند أحمد 6/ 394.

فالحديث: فيه الدلالة الواضحة على المنع من عبادة الله عند قبور الصالحين واتخاذها مساجد؛ لأن ذلك من فعل النصارى ومن فَعَله فهو من شرار الخلق.

ما يستفاد من الحديث:

1- المنع من عبادة الله عند قبور الصالحين؛ لأنه وسيلة إلى الشرك وهو من فعل النصارى.

2- التحدث عما يفعله الكفار –ليحذره المسلمون.

3- التحذير من التصوير ونصب الصور؛ لأن ذلك وسيلةٌ إلى الشرك.

4- أن من بنى مسجداً عند قبر رجل صالح فهو من شرار الخلق وإن حسنت نيته.

وقوله –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– : « لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خُشي أن يُتخذ مسجدا»

المعنى الإجمالي للحديث:

أن النبي –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – حرصاً منه على حماية التوحيد وتجنيب الأمة ما وقعت فيه الأمم الضالة من الغلو في قبور أنبيائهم حتى آل ذلك بهم إلى الشرك جعل ––صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وهو في سياق الموت ومقاساة شدة النزع– يحذر أمته أن لا يغلو في قبره فيتخذوه مسجداً يصلون عنده، كما فعلت اليهود والنصارى ذلك مع قبور أنبيائهم، فصلى الله عليه لقد بلّغ البلاغ المبين.

فالحديث: أن فيه المنع من عبادة الله عند قبور الأنبياء واتخاذها مساجد؛ لأنه يُفضي إلى الشرك بالله.

ما يستفاد من الحديث:

1- المنع من اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يُصلى فيها لله؛ لأن ذلك وسيلة إلى الشرك.

2- شدة اهتمام الرسول ––صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – واعتنائه بالتوحيد وخوفِه أن يعظّم قبره؛ لأن ذلك يفضي إلى الشرك.

3- جواز لعن اليهود والنصارى ومن فعل مثل فعلهم من البناء على القبور واتخاذها مساجد.

4- بيان الحكمة من دفن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في بيته، وأن ذلك لمنع الافتتان به.

5- أن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بشرٌ يجري عليه ما يجري على البشر من الموت وشدة النزع.

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قبل أن يموت بخمسٍ وهو يقول: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»[1]

المعنى الإجمالي للحديث:

يتحدث -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قبيل وفاته إلى أمته بحديث مهمّ، فيخبر عن مكانته عند الله، وأنها بلغت أعلى درجات المحبة، كما نالها إبراهيم -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-، ولذلك نفى أن يكون له خليلٌ غير الله؛ لأن قلبه امتلأ من محبته وتعظيمه ومعرفته، فلا يتسع لأحد. ولو كان له خليلٌ من الخلق لكان أبا بكر الصديق، وهو إشارةٌ إلى فضل أبي بكر واستخلافه من بعده. ثم أخبر عن غلو اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم حتى صيّروها متعبدات شركية، ونهى أمته أن يفعلوا مثل فعلهم.

فالحديث: فيه النهي عن اتخاذ القبور أمكنة للعبادة؛ لأنه وسيلة إلى الشرك. كما تفعل اليهود والنصارى وغيرهم من أهل البدع.

---

1 - مسلم: المساجد ومواضع الصلاة 532 .

ما يستفاد من الحديث:

1- النهي عن اتخاذ القبور أمكنة للعبادة يُصلى عندها أو إليها ويُبنى عليها مساجد أو قبابٌ، حذراً من الوقوع في الشرك بسبب ذلك.

2- سد الذرائع المفضية إلى الشرك.

3- إثبات المحبة لله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ- على ما يليق بجلاله.

4- فضل الخليلين: محمد وإبراهيم عليهما السلام.

5- فضل أبي بكر الصديق، وأنه أفضل الأمة على الإطلاق.

6- أنه دليل على خلافة أبي بكر الصديق.

ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- مرفوعا: " إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَمَنْ يَتَّخِذُ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ "[1] ورواه أبو حاتم في صحيحه.

المعنى الإجمالي للحديث:

يخبر --صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - عمن تقوم الساعة عليهم وهم أحياءٌ أنهم شرار الناس، ومنهم الذين يصلون عند القبور وإليها، ويبنون عليها القباب، وهذا تحذيرٌ لأمته أن تفعل مع قبور نبيهم وصالحيهم مثل فعل هؤلاء الأشرار.

فالحديث :فيه التحذير من اتخاذ القبور مساجد، يُصلى في ساحتها ويُتبرك بها؛ لأنه ذريعةٌ إلى الشرك.

ما يستفاد من الحديث:

1- التحذير عن الصلاة عند القبور، لأنه وسيلةٌ إلى الشرك.

2- أن من اتخذ قبور الصالحين مساجد للصلاة فيها فهو من شرار الخلق، وإن كان قصده التقرب إلى الله.

---

[1] - مسند أحمد 6/ 394.

3 – أن الساعة تقوم على شرار الناس.

4 – التحذير عن الشرك ووسائله وما يقرب إليه، مهما كان قصد صاحب تلك الوسائل.



أسئلة تقويمية

1 – هل يجوز عبادة الله عند قبر رجل صالح؟ وما الداليل؟

2 – ما الفوائد المستنبطة من –عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ– : « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»؟

3 – اذكر الأدلة على حرمة البناء على القبور مساجد؟



ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون اللّه

روى مالك في الموطأ: أن رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَناً يُعْبَدُ. اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ». [1].

ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ١٩﴾ [النجم].

، قال: « كان يلت لهم السويق فمات، فعكفوا على قبره».

وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: « كان يلت السويق للحاج». وعن ابن عباس -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا- قال: « لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَائِرَاتِ القُبُورِ، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ»[2] رواه أهل السنن.

الشـرح

المعنى الإجمالي للحديث:

خاف —صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أن يقع في أمته مع قبره ما وقع من اليهود والنصارى مع قبور أنبيائهم من الغلو فيها حتى صارت أوثاناً، فرغِب إلى ربه أن لا يجعل قبره كذلك. ثم نبّه — -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على سبب لحوق شدة الغضب واللعنة باليهود والنصارى. أنه ما فعلوا في حق قبور الأنبياء حتى صيّروها أوثاناً تعبد، فوقعوا في الشرك العظيم المضاد للتوحيد.

---

1 – مالك: النداء للصلاة 416 .

2 – الترمذي: الصلاة 320 ، والنسائي: الجنائز 2043 ، وأبو داود: الجنائز 3236 ، وابن ماجه: ما جاء في الجنائز 1575 ، وأحمد 229/1 ،287/1، 324/1، 337/1 .

وجه الاستدلال بالحديث:

أن الغلو في القبور يجعلها أوثاناً تُعبد؛ لأن النبي —صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: « اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد» وبيّن ذلك بقوله: « اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

ما يستفاد من الحديث:

1 – أن الغلو في قبور الأنبياء يجعلُها أوثاناً تُعبد.

2 – أن من الغلو في القبور اتخاذها مساجد، وهذا يؤدّي إلى الشرك.

3 – إثبات اتصاف الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بالغضب على ما يليق بجلاله.

ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [النجم].

قال: كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره.

وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: كان يلت السويق للحاج.

عكفوا على قبره: أقبلوا وواظبوا واحتبسوا عليه.

الشاهد من الأثر:

أن سبب عبادة اللات هو الغلو في قبره حتى صار وثناً يُعبد.

وعن ابن عباس —رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – قال: « لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ»[1]

معنى الحديث إجمالاً:

يدعو —صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – باللعنة وهي الطرد والإبعاد عن رحمة الله للنساء اللاتي يزُرن القبور؛ لأن زيارتهن يترتب عليها مفاسد مِنَ النياحة والجزع وافتتان الرجال بهن. ولَعن الذين

[1] – الترمذي: الصلاة 320 ، والنسائي: الجنائز 2043 ، وأبو داود: الجنائز 3236 ، وابن ماجه: ما جاء في الجنائز 1575 ، وأحمد 229/1 ،287/1، 324/1، 337/1.

يتخذون المقابر مواطن عبادة أو يضيؤونها بالسّرج والقناديل؛ لأن هذا غلوٌ فيها ومدعاة للشرك بأصحابها.

الشاهد من الحديث:

أنه يدل على تحريم الغلو في القبور؛ لأن ذلك يصيّرها أوثاناً تُعبد.

ما يستفاد من الحديث:

1 – تحريم الغلوّ في القبور باتخاذها مواطن للعبادة؛ لأنه يفضي إلى الشرك.

2 – تحريم تنوير المقابر؛ لأن ذلك وسيلةٌ لعبادتها.

3 – أن الغلو في القبور من الكبائر.

4– أن علة النهي عن الصلاة عند القبور هي: خوف الشرك، لا لأجل النجاسة؛ لأن الرسول –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قرن بين اتخاذها مساجد وإسراجها ولعن على الأمرين. وليس اللعن على إسراجها من أجل النجاسة، فكذا الصلاة عندها.

❁❁❁❁❁❁

أسئلة تقويمية

1 – ما معنى قوله: « اللهم لا تجعل قبري وثنا يُعبد. اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» ؟

2 – ما العلة من النهي في الصلاة عند القبور؟

3 – ما الدليل على أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله ؟

❁❁❁❁❁❁

ما جاء في السحر

وقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [البقرة].

وقوله: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ ﴾ [النساء: 51].

قال عمر: « الجِبْتُ السحر، والطاغوت الشيطان».

وقال جابر: « الطواغيت كهان كان ينْزل عليهم الشيطان، في كل حي واحد».

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِّ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِّ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُّ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ» [1]

وعن جندب مرفوعا: « حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ»[2] رواه الترمذي، وقال: الصحيح أنه موقوف.

وعن بجالة بن عَبَدة قال: كتب عمر بن الخطاب: « أن اقتلوا كل ساحر وساحرة»[3]. قال: فقتلنا ثلاث سواحر

---

1 - البخاري: الوصايا 2767 ، ومسلم: الإيمان 89 ، والنسائي: الوصايا 3671 ، وأبو داود: الوصايا 2874 .

2 - الترمذي: الحدود 1460 .

3 مسند أحمد ط الرسالة 3/ 196.

وصح عن حفصة -رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا- أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها. فقُتلت»[1] وكذلك صح عن جندب.

قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي - -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ-

الشــرح

لمّا كان السحر من أنواع الشرك إذ لا يأتي السحر بدون الشرك، ناسب ذكره هنا السحر لغة: عبارةٌ عما خفي ولطُف سببه.

وشرعاً: عزائم ورقى وكلام يُتكلم به وأدوية وتدخينات وعُقد، يؤثر في القلوب والأبدان، فيُمرض ويَقتل ويفرّق بين المرء وزوجه.

ولقد علموا: أي: علم اليهود الذين استبدلوا السحر عن متابعة الرسل.

لمن اشتراه: أي: رضي بالسحر عوضاً عن شرع الله ودينه.

من خلاق: من نصيب.

الجبت: كلمةٌ تقع على الصنم والساحر والكاهن. وتفسير عمر له بالسحر من تفسير الشيء ببعض أفراده.

الطاغوت: من الطغيان وهو: مجاوزة الحد، فكل من تجاوز المقدار والحد في العصيان فهو طاغوت.

الطواغيت كهّانٌ: المراد به أن الكهان من الطواغيت فهو من أفراد المعنى وليس المراد الحصر.

---

[1] صحيح مسلم 1/ 161

ينزل عليهم الشيطان: أي: الشياطين لا إبليس خاصة فهو اسم جنس.

في كل حي: في كل قبيلة.

المعنى الإجمالي للآيتين:

يقول تعالى: ولقد علم اليهود الذين استبدلوا السحر عن متابعة الرسل والإيمان بالله لمن استبدل السحر بكتاب الله ومتابعة رسله ما له نصيب في الآخرة، وفي الآية الثانية: يخبر تعالى عن اليهود أنهم يصدقون بالجبت الذي منه السحر.

الشاهد من الآيتين:

أنهما يدلان على تحريم السحر وأنه من الجبت.

ما يستفاد من الآيتين:

1- تحريم السحر.

2- كفر الساحر.

3- الوعيد الشديد لمن أعرض عن كتاب الله، واستبدل به غيره.

4- أن السحر من الشرك المنافي للتوحيد؛ لأنه استخدامٌ للشياطين وتعلق بهم.

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن رسول الله - -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: « اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: « الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»

المعنى الإجمالي للحديث:

يأمر -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أمته بالابتعاد عن سبع جرائم مهلكاتٍ، ولما سُئل عنها ما هي؟ بيّنها بأنها الشرك بالله، باتخاذ الأنداد له من أي شكل كانت، وبدأ بالشرك؛ لأنه أعظم الذنوب، وقتلِ النفس التي منع الله من قتلها إلا بمسوغٍ شرعي، وتناول الربا بأكلٍ أو بغيره من وجوه

الانتفاع، والتعدي على مال الطفل الذي مات أبوه، والفرار من المعركة مع الكفار، ورمي الحرائر العفيفات بالزنا.

وجه سياق الحديث في باب السحر: أن فيه دليلاً على تحريم السحر واعتباره من الكبائر المهلكة.

ما يستفاد من الحديث:

1 – تحريم الشرك، وأنه هو أكبر الكبائر وأعظم الذنوب.

2 – تحريم السحر، وأنه من الكبائر المهلكة ومن نواقض الإسلام.

3 – تحريم قتل النفس بغير حق.

4 – جواز قتل النفس إذا كان بحقٍّ كالقصاص والردة والزنا بعد إحصان.

5 – تحريم الربا وعظيم خطره.

6 – تحريم الاعتداء على مال الأيتام.

7 – تحريم الفرار من الزحف.

8 – تحريم القذف بالزنا واللواط.

9 – أن قذف الكافر ليس من الكبائر.

وعن جندب مرفوعاً: « حد الساحر ضربهُ بالسيف» رواه الترمذي. وقال: الصحيح أنه موقوف»

وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عَبَدة قال: كتب عمر بن الخطاب: « أن اقتلوا كل ساحر وساحرة». قال: « فقتلنا ثلاث سواحر »

الشاهد من الآثار:

أن فيها بيانَ حدّ الساحر بأنه القتل، مما يدل على عِظَم جريمة السحر وأنه من الكبائر.

ما يستفاد من الآثار:

1- بيان حد الساحر وأنه يُقتل ولا يُستتاب.

2- وجود تعاطي السحر في المسلمين على عهد عمر فكيف بمن بعده.

أسئلة تقويمية

1- عرف السحر لغة وشرعاً؟

2- ما حكم تعلم السحر؟ وما الدليل؟

3- ما حكم الساحر؟

4- ما معنى« الجبت» و« الطاغوت» و« الطواغيت»؟



بيان شيء من أنواع السحر

قال أحمد: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنْ حَيَّانَ، حَدَّثَنِي قَطَنُ بْنُ قَبِيصَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ الْعِيَافَةَ، وَالطَّرْقَ، وَالطِّيَرَةَ مِنَ الْجِبْتِ "، قَالَ عَوْفٌ: " الْعِيَافَةُ: زَجْرُ الطَّيْرِ، وَالطَّرْقُ: الْخَطُّ يُخَطُّ فِي الْأَرْضِ "، وَالْجِبْتُ، قَالَ الْحَسَنُ: إِنَّهُ الشَّيْطَانُ "[1] إسناده جيد.

ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه المسند منه.

وعن ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ، اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ»[2]. رواه أبو داود، وإسناده صحيح.

وللنسائي من حديث أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً، ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ»[3]

وعن ابن مسعود أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: « ألاَ هل أُنَبئكم ما العَضْهُ؟ هي النميمةُ القَالَةُ بَيْنَ الناسِ»[4] رواه مسلم.

ولهما عن ابن عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: « إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا»[5]

---

1 - أبو داود: الطب 3907 ، وأحمد 60/5 .

2 - أبو داود: الطب 3905 ، وابن ماجه: الأدب 3726 ، وأحمد 227/1، 311/1 .

3 - النسائي: تحريم الدم 4079 .

4 - مسلم: البر والصلة والآداب 2606 ، وأحمد 437/1 .

5 - البخاري: النكاح 5146 ، والترمذي: البر والصلة 2028 ، وأبو داود: الأدب 5007 ، وأحمد 16/2، 59/2، 62/2، 94/2 ، ومالك: الجامع 1850

الشـرح

المعنى الإجمالي للحديث:

يخبر –-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في هذ الحديث خبراً معناه النهيُ والتحذيرُ أن من تعلّم شيئاً من التنجيم فقد تعلّم شيئاً من السحر المحرّم، وكلما زاد تعلّمه التنجيم زاد تعلمه السحر؛ وذلك لأن التنجيم تحكمٌ على الغيب، بحيث إن المنجم يحاول اكتشاف الحوادث المستقبلة التي هي من علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه.

الشاهد من الحديث:

أن النبي –-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أخبر فيه أن التنجيم نوعٌ من أنواع السحر.

ما يستفاد من الحديث:

1 - تحريم التنجيم الذي هو الإخبار عن المستقبل اعتماداً على أحوال النجوم؛ لأنه من ادعاء علم الغيب.

2 - أن التنجيم من أنواع السحر المنافي للتوحيد.

3 - أنه كلما زاد تعلّمه للتنجيم زاد تعلّمه للسحر.

وللنسائي من حديث أبي هريرة: « من عقد عُقدة ثم نفث فيها فقد سَحَر، ومن سحر فقد أشرك، ومَنْ تعلَّقَ شيئاً وُكل إليه»

من عقد عقدة: على شكل ما يفعله السحرة من عقدِ الخيوط ونحوها.

ونفَث فيها: النفث هو: النفخ مع ريقٍ وهو دون التفل.

فقد سحَر: أي: فعل السحر المحرم.

ومن سحر فقد أشرك: لأن السحر لا يتأتى بدون الشرك؛ لأنه استعانة بالشياطين.

ومن تعلّق شيئاً وُكل إليه: أي: من تعلق قلبه بشيء واعتمد عليه وكله الله إلى ذلك الشيء وخذله.

معنى الحديث إجمالاً:

يبين —-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نوعاً من أنواع السحر وحكمَه، محذراً أمته من تعاطيه. فيقول: إن من أنواع السحر أن يعقد العقد في الخيوط ونحوها، وينفخ في تلك العُقد نفخاً مصحوباً بالريق؛ وذلك أن السحرة إذا أرادوا عمل السحر عقدوا الخيوط، ونفثوا على كل عقدةٍ حتى ينعقد ما يريدون من السحر، فتتكيف نفسه الخبيثة بالشر، ويستعين بالشياطين، وينفخ في تلك العقد، فيخرج من نفسه الخبيثة نفَسٌ مقترنٌ بالريق الممازج للشر، ويستعين بالشياطين فيصيب المسحورَ بإذن الله الكونيّ القدريّ.

ما يستفاد من الحديث:

1- بيان نوع من أنواع السحر وهو ما كان بواسطة العقد والنفث.

2- أن السحر شركٌ؛ لأنه استعانة بالشياطين.

3- أن من اعتمد على غير الله خذله الله وأذله.

وعن ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: « ألا هل أنبئكم ما العَضْهُ؟ هي: النميمة القالةُ بين الناس»

العضْهُ: بفتح العين وسكون الضاد مصدر عَضَه يعْضَهُ عضْهاً بمعنى كذَب وسحر والمراد به هنا: السحر.

النميمة: نقل الحديث على وجه الإفساد.

القالة: كثرة القول وإيقاع الخصومة بين الناس بما يُحكى للبعض عن البعض.

المعنى الإجمالي للحديث:

أراد —-صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ - أن يحذّر أمته عن السعاية بين الناس بنقل حديث بعضهم في بعض على وجه الإفساد، فافتتح حديثه بصيغة الاستفهام، ليكون أوقع في النفوس وأدعى للانتباه، فسألهم ما العَضْهُ –أي ما السحر- ثم أجاب عن هذا السؤال –بأن العضه هو نقل الخصومة بينهم؛ لأن ذلك يفعل ما يفعله السحر من الفساد وتفريق القلوب.

مناسبة الحديث للباب: أن النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ - بيّن فيه أن النميمة نوعٌ من أنواع السحر.

ما يستفاد من الحديث:

1- أن النميمة نوعٌ من أنواع السحر؛ لأنها تفعل ما يفعله السحر من التفريق بين القلوب والإفساد بين الناس –لا أن النمام يأخذ حكم الساحر من حيثُ الكفر وغيره.

2- تحريم النميمة، وأنها من الكبائر.

3- التعليم على طريقة السؤال والجواب، لأن ذلك أثبتُ في الذهن وأدعى للانتباه.

ولهما عن ابن عمر -رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا -: أن رسول الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- قال: « إن من البيان لسحراً».

البيان: البلاغة والفصاحة.

لسحراً: أي: يعمل عمل السحر، فيجعل الحق في قالب الباطل والباطلَ في قالب الحق، فيستميل قلوب الجهال.

المعنى الإجمالي للحديث:

يبين -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ - نوعاً آخر من أنواع السحر وهو: البيان المتمثل في الفصاحة والبلاغة، لما يُحدِثه هذا النوع من أثر في القلوب والأسماع، حتى ربما يصور الحق في صورة

الباطل والباطل في صورة الحق، كما يفعل السحر. والمراد ذمّ هذا النوع من البيان الذي يلبس الحق بالباطل ويموّه على السامع.

الشاهد من الحديث:

أن فيه بيانَ نوع من أنواع السحر وهو بعض البيان.

ما يستفاد من الحديث:

1- بيان نوع من أنواع السحر وهو البيان الذي فيه التمويه.

2- ذمّ هذا النوع من البيان -وأما البيان الذي يوضح الحق ويقرره ويبطل الباطل ويدحضه فهو ممدوح.



أسئلة تقويمية

1 – ما الدليل على حرمة التنجيم ؟

2 – ما الدليل على النميمة من أنواع السحــر؟

3 – ما الدليل على النميمة من كبائر الذنوب؟



ما جاء في الكهان ونحوهم

روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»[1]

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: مَنْ أَتَى حَائِضًا، أَوِ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا، أَوْ كَاهِنًا، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - »[2] رواه أبو داود. وللأربعة والحاكم وقال: صحيح على شرطهما.

عن أبي هريرة: « مَنْ أَتَى عَرَّافًا أو كَاهِناً فصدّقَهُ بِمَا يقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- »[3] ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفاً.

وعن عمران بن حصين - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- مرفوعا: « لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ عَقَدَ عُقْدَةً - أَوْ قَالَ: عُقِدَ عُقْدَةٌ لَهُ - وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا قَالَ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- »[4] رواه البزار بإسناد جيد. ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله: « ومن أتى» إلى آخره.

---

1 - مسلم: السلام 2230 ، وأحمد 68/4، 380/5 .

2 - الترمذي: الطهارة 135 ، وأبو داود: الطب 3904 ، وابن ماجه: الطهارة وسننها 639 ، وأحمد 429/2 ، والدارمي: الطهارة 1136 .

3 - 4 الترمذي: الطهارة 135 ، وأبو داود: الطب 3904 ، وابن ماجه: الطهارة وسننها 639 ، وأحمد 408/2، 476/2 ، والدارمي: الطهارة 1136.

4 - قال الهيثمي في مجمع الزوائد « 117/5»: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع وهو ثقة.

قال البغوي: العَرَّاف: الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة، ونحو ذلك. وقيل: هو الكاهن. والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل. وقيل: الذي يخبر عما في الضمير.

وقال أبو العباس بن تيمية: العراف: اسم الكاهن والمنجم والرمال ونحوهم، ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق. وقال ابن عباس - في قوم يكتبون (أبا جاد) وينظرون في النجوم: « ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق».

الشرح

الكهان: جمع كاهن وهو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل اعتماداً على الاستعانة بالشياطين.

المعنى الإجمالي للحديث :

يبين -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الوعيد المترتب على الذهاب إلى الكهان ونحوهم لسؤالهم عن المغيبات التي لا يعلمها إلا الله، أن جزاءَ من فعل ذلك حرمانُه من ثواب صلاته لمدة أربعين يوماً؛ لتلبّسه بالمعصية. وفي هذا وعيد شديد ونهيٌ أكيد عن هذا الفعل، مما يدل على أنه من أعظم المحرمات، وإذا كان هذا جزاءُ من أتى الكاهن فكيف بجزاء الكاهن نفسه! نعوذ بالله من ذلك ونسأل الله العافية.

الشاهد من الحديث:

أن فيه النهي عن إتيان الكُهّان ونحوهم، وعن تصديقهم لمنافاته للتوحيد.

ما يستفاد من الحديث:

1 - المنع من الذهاب إلى الكهان وسؤالهم عن المغيبات وتصديقهم في ذلك وأنه كفر.

2- تحريم الكهانة، وأنها من الكبائر.

فائدة: من ذهب إلى الكهّان ولم يصدقهم لم تقبل له صلاة أربعين يوماً، كما جاء في ذلك الحديث الآخر وأما من صدّقهم فقد كفر بما أنزل على محمد -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. وعن أبي هريرة عن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: « من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-» رواه أبو داود.

وللأربعة والحاكم وقال: صحيح على شرطهما عن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-».

ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود موقوفاً».

المعنى الإجمالي للحديث بروايتيه:

الوعيد الشديد على إتيان الكهان والعرافين لسؤالهم عن المغيبات وتصديقهم في ذلك؛ لأن علم الغيب قد اختص الله تعالى به. فمن أتاهم وصدّقهم فقد كفر بالوحي المنزّل على محمد -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

الشاهد من الحديث:

أن فيه النهي عن إتيان الكهّان والعرافين وبيان الوعيد في ذلك.

ما يستفاد من الحديث:

1- تحريم الذهاب إلى الكهان والعرافين وسؤالهم ووجوب الابتعاد عنهم؛ لأن ذلك كفرٌ إذا صدقهم، ومحرمٌ إذا لم يصدقهم.

2- وجوب تكذيب الكهان والمنجمين.

3- من أتاهم وصدقهم فقد كفر بالوحي المنزل على محمد -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

4- أنه الكهانة شرك؛ لأنها تتضمن دعوى مشاركة الله تعالى في علم الغيب.

وعن عمران بن حصين - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ-مرفوعاً: « ليس منا من تَطيّر أو تُطير له، أو تَكهن أو تُكهن له، أو سَحر أو سُحر له، ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-» رواه البزار بإسناد جيد، ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله: « ومن أتى» إلى آخره.

قال البغوي: العرَّاف: الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك -وقيل: هو الكاهن.

والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل.

وقيل: الذي يخبر عما في الضمير.

وقال أبو العباس ابن تيمية: العراف: اسم للكاهن والمنجِّم والرَّمَّال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق.

ليس منا: أي: لا يفعل هذا من هو من أشياعنا العاملين باتباعنا المقتفين لشرعنا.

من تطيّر: فَعل الطيرة.

أو تُطير له: أمر من يُتطير له. ومثله بقية الألفاظ.

المعنى الإجمالي للحديث:

يقول -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ -: لا يكون من أتباعنا المتبعين لشرعنا من فعل الطيرة أو الكهانة أو السحر أو فُعلت له هذه الأشياء؛ لأن فيها ادعاء لعلم الغيب الذي اختص الله به، وفيها إفساد للعقائد والعقول، ومن صدّق من يفعل شيئاً من هذه الأمور فقد كفر بالوحي الإلهي الذي جاء بإبطال هذه الجاهليات ووقاية العقول منها. ويلحق بذلك ما يفعله بعض الناس من قراءة ما يسمّى بالكف، أو ربط سعادة الإنسان وشقائه وحظّه بالبروج ونحو ذلك.

وقد بين كلٌّ من الإمامين البغوي وابن تيمية معنى العرّاف والكاهن المنجم والرّمّال بما حاصلُه: أن كل من يدعي علم شيءٍ من المغيبات فهو إما داخلٌ في اسم الكاهن أو مشاركٌ له في

المعنى فيلحق به، والكاهن هو الذي يخبر عما يحصل في المستقبل ويأخذ عن مسترق السمع من الشياطين كما سبق في أول كتاب التوحيد.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه النهي والتغليظ عن فعل الكهانة ونحوها وتصديق أهلها.

ما يستفاد من الحديث:

1 – تحريم ادعاء علم الغيب؛ لأنه ينافي التوحيد.

2 – تحريم تصديق من يفعل ذلك بكهانةٍ أو غيرها؛ لأنه كفرٌ.

3 – وجوب تكذيب الكهان ونحوهم ووجوب الابتعاد عنهم وعن علومهم.

4 – وجوب التمسك بما أُنزل على الرسول –صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ – وطرح ما خالفه.

وقال ابن عباس في قوم يكتبون (أبا جاد)، وينظرون في النجوم: ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق».

قوله: « يكتبون أبا جاد»: أي: يقطعون حروف « أبجد هوز... إلخ» التي تسمى حروف الجمل ويتعلمونها لادعاء علم الغيب.

وينظرون في النجوم: أي: ويعتقدون أن لها تأثيراً فيبنون أمورهم على زعمٍ فاسدٍ واعتقادٍ باطل في النجوم والحساب الذي يظنون أنهم يدركون به علم الغيب.

المعنى الإجمالي للأثر:

يقول ابن عباس: لا أعلم ولا أظن أن من يكتب حروف (أبا جاد) وينظر في النجوم ويبني على ذلك الحكم على المستقبل، ما أرى لمن فعل ذلك نصيباً عند الله؛ لأن ذلك يدخل في حكم العرّافين المدّعين لعلم الغيب.

مناسبة الأثر للباب:

أنه يدل على أن كتابة (أبا جاد) وتعلّمها لمن يدعي بها معرفة علم الغيب والنظر في النجوم على اعتقاد أن لها تأثيراً، كل ذلك يدخل في العرافة ومن فعله فقد أضاع نصيبه من الله.

ما يستفاد من الأثر:

1- تحريم تعلّم (أبا جاد) على وجه ادعاء علم الغيب به؛ لأنه ينافي التوحيد. أما تعلّمها للتهجّي وحساب الجمل فلا بأس به.

2- تحريم التنجيم؛ لأنه وسيلةٌ إلى الشرك بالله تعالى.

3- عدم الاغترار بما يُؤتاه أهل الباطل من معارفهم وعلومهم؛ لأن ذلك من باب الاستدراج لهم.



أسئلة تقويمية

1- عرف الكاهن والعراف؟

2- ما حكم الذهاب إلى الكهان والعرافين؟ وما الدليل؟

3- ما حكم النظر في النجوم؟



المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- تفسير ابن كثير
- تفسير السعدي
- صحيح البخاري
- صحيح مسلم
- سنن أبي داود
- سنن الترمذي
- سنن النسائي
- سنن ابن ماجه
- مسند أحمد بن حنبل
- موطأ الإمام مالك

المحتويات